# من تغريب إلى تغريب

التحول المذهبى من الضد إلى الضد فى مواقف المثقفين تجاه الإسلام، يشكل ظاهرة ملفتة للأنظار، حتى أن سيدة هندية مسلمة ألفت كتابا كاملاً عنها. وقائمة "المتحولين" طويلة، وعليها أسماء كبيرة ولامعة. بعضها معروف لعامة المثقفين. وبعضها لا يُعْرَف إلاّ للخاصة. ومن أشهر المتحولين من العلمانية إلى الإسلام من الأوربيين: محمد أسد (ليوبولد فايس سابقاً)، ومريم جميلة (مارجريت ماركس سابقاً) والدكتور سراج الدين (مارتن كنجز سابقاً)، وناصر الدين دينيه، ومحمد مارمادوك بكثل، ورجاء جارودى؛ وهؤلاء أصبحوا مفكرين إسلاميين مرموقين بما كتبوا وألفوا عن الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا؛ وفى مصر على وجه الخصوص شهد الناس تحول الشهيد سيد قطب، والشيخ خالد محمد خالد، والدكتور مصطفى محمود، وأخيراً الأستاذ عادل حسين. وهناك مئات من الأسماء اللامعة فى مجال الفكر، والعلم، والأدب والفن، انضمت إلى القافلة منذ نهاية القرن الماضى وبداية هذا القرن.

وقد توقع بعض المشتغلين بالفلسفة فى مصر أن ينتهى التطور العقلى للدكتور زكى نجيب محمود إلى التحول الكامل إلى الإسلام، حين أعلن هو نفسه، حوالى سنة ١٩٦٣، أنه قد بدأ: "يزدرد تراث آبائه ازدراد العجلان" بعد أن كان يؤمن بأن الفكر الغربى الأوربى: "فى شكل ثقافة واحدة" يندمج فيها المنقول والأصيل فى نظرة واحدة".[1] ومنذ ذلك الإعلان ومقالاته وكتبه - بصفة عامة - تدور حول هذه القضية، وتحاول إنجاز هذا الهدف. وقال ذات مرة إنه: "ليأسف على فترة لم تكن قصيرة من حياته الواعية (من الثلاثينيات إلى الستينيات) قضاها نصيراً لتلك الفئة (من أنصار التغريب الكامل) على ظن خاطئ منه بأن "ما نجح" فى الغرب كل هذا النجاح، الذى أضفى عليه ما أضفى من قوة وعلم وثراء، ينجح معنا إذا نحن اصطنعناه. لكنه خطأ فى الرأى قد شاء الله لهذا الكاتب أن يراه فيهتدى"[1].

---

(١) تجديد الفكر العربى ؛ التقديم.

هذا هو ما حفزني على إجراء هذه المحاولة للتعرف على المدى الذى قطعه الأستاذ على طريق تحوله من الخطأ -أى التغريب الكلى- إلى "التوفيق" الذى حدده هدفًا لجهاده الأدبى منذ ربع قرن أو يزيد.

ومن المؤسف حقًّا أن أقول أننى وجدت أن الأستاذ قد تحول من تغريب إلى تغريب! فقد كان يعمل للتغريب الكلى حتى عام ١٩٦٣؛ ثم اصطدم بالأساتذة والطلاب فى جامعة الكويت وتنسم هناك مناخًا آخر غير المناخ العلمانى اللادينى الذى كان سائدًا فى قسم الفلسفة بجامعة القاهرة. وفى السطور التالية نحاول شرح هذه الحقيقة المؤسفة، استنادًا إلى ما جاء فى مقالته عن "جمود الفكر ما معناه" (الأهرام يوم ٧/٢/١٩٨٩) على وجه الخصوص.

إن الدكتور زكى حاول أن يعرض لنا رأيه فى "النصوص الدينية" فى ذلك المقال، على شكل إشارات من على بعد. وصفوة القول عنده إن جمود الفكر معناه الوقوف عند "حروف" النصوص، أو عند مضامينها الجزئية. وتنشيط الفكر وفكه من عقاله... تبعًا لذلك - يستدعى تجاوز حروف النصوص إلى "روحها" أو التمسك بإطارها النظرى مع نبذ مضموناتها الجزئية.

وأول ما نأخذه على كلام الدكتور هنا هو "الإجمال" الذى يغفل التصنيف العلمى للنصوص، والتمييز بينها. وذلك خطأ منهجى فادح. فالنصوص القرآنية والحديثية أصناف؛ فمنها القطعى فى ثبوته ودلالته، كقوله تعالى: ﴿ **لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ** ﴾ ويتحتم الوقوف عند حروفه، وتطبيقه على كل حالة دون تغيير أو تبديل، ودون تأويل أو تفسير، ومنها القطعى فى ثبوته، الظنى فى دلالته، ويحتمل شيئًا من التأويل والتفسير، كقوله تعالى: ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ** ﴾؛ ومنها الظنى فى ثبوته ودلالته، كبعض أفراد الحديث الشريف، "الضعيف" حسب تعريف المحدثين، ويمكن تجاوز نصوصها كلية بشروط خاصة حددها العلماء.

وأبعد من هذا فإن المنهج العلمى يحتم إجراء البحث على "أفراد" النصوص نصًّا نصًّا، لا صنفًا صنفًا، وكان على الدكتور زكى أن يسوق لقرائه نصوصًا معينة ويبين لهم الفرق بين روحها وحروفها، أو بين مضمونها وإطارها النظرى، وأيهما الأهم

والمهم، وكيف يستطيع فك جمود الفكر، وتنشيطه، وما ثمن ذلك، وكان عليه أن يحدد أسماء المفسرين أو الفقهاء الذين وقفوا عند الحروف أو المضامين الجزئية، ويكشف عن الخطأ فى موقفهم.

ولقد أكد الأستاذ بنفسه وعلى الدوام أنه لا يزال حيث كان: على رأس كتائب التغريب، حين انفجر غاضبًا على المرأة المسلمة التي تحترم نصوصَ الكتابِ العزيز، وتحاول أن توفِّقَ بين طاعة ربها وبين الأخذ بنصيبها في العلم والعمل. حمل الأستاذ على الحجاب والاحتشام حملته الشعواء، ومجَّدَ السفور، وأعلى من قدر المتبرجات، شبه العاريات، على شواطئ الإسكندرية، واستبدت به الثورة حتى نَسَبَ الحجاب الشرعي إلى شياطين الظلام، وهو يعلم أنه التطبيق العملي لآيات من كتاب الله، وأحاديث صحيحة لرسوله ﷺ (الأهرام–٤ / ٩ / ١٩٨٤) فكانت كلماته فى المسألة أشد نكارة من كل ما قال من قبل!

فهل "روح" النص تعنى المعصية؟ وهل إطاره النظرى يعنى رَده والتنكر له كما فعل هو؟!

ولقد أكد موقفه هذا قبل ذلك (فى ٥ / ١٢ / ١٩٨٣) حين أنكر على الأمة العربية محاولاتها اقتباس العلم والصناعة من أوربا دون الثقافة الغربية المادية العلمانية اللادينية. وقال: "وليس من شك فى أن مصر حين اصطدمت بحضارة الغرب الحديث وبشيء من ثقافته، اهتز بنيانها، لأنها وجدت نفسها أمام حياة تختلف عن حياتها اختلافًا شديداً، وكان أن ردت الفعل بموقف شاذ، هو الموقف الذى نحياه اليوم، وأعنى به أنها أخذت من الشجرة الجديدة ثمارها ورفضت جذورها وجذوعها (يقصد: المادية والعلمانية)، أى أنها أخذت نتائج العلم ونتائج الصناعة ونتائج النشاط الفلسفى والفكري ومبدعات الأدب والفن والأشكال الخارجية للنظم كلها: سياسية وتعليمية واقتصادية وغيرها، أقول إنها أخذت "نتائج" هذا كله، ولكنها رفضت أن تحيا الحياة التى تعتمل فيها العوامل لتنتج لصاحبها تلك النتائج.

فهو ينقم على الأمة العربية أنها أخذت نتاج العلم والصناعة وأبت أن تحيا حياة غربية كاملة: أخذت ثمار المادية العلمانية ورفضت أن تأخذهما. هذه هى غلطتنا نحن العرب والصواب عند الأستاذ أن نأخذ الجذور والجذوع كما أخذنا النتائج.



obeikandl.com

وكان الدكتور طه حسين قد ذهب هذا المذهب فى كتابه: "مستقبل الثقافة فى مصر" ودعا إلى أن: "نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقتهم لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء فى الحضارة بخيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يُحَبُّ منها وما يُكرَه، وما يُحمَد منها وما يُعاب".(١) لكن الدكتور طه استدرك الخطأ فى هذا الرأى، وقال فى الكتاب نفسه: "إننا إذا دعونا إلى الاتصال بالحياة الأوربية ومجاراة الأوربيين فى سيرتهم التى انتهت بهم إلى الرقى والتفوق، فنحن لا ندعو إلى آثامهم وسيئاتهم، وإنما ندعو إلى خير ما عندهم وأنفع ما فى سيرتهم ...لا ندعو إلى أن نكون صوراً طبق الأصل للأوربيين كما يقال، فذلك شىء لا سبيل إليه، ولا يدعو إليه عاقل".(٢) أما كلام الدكتور زكى فيريدنا أن "نحيا الحياة الغربية" – وهى حياة علمانية لادينية؛ وهذا هو التغريب الكلى!

وأساس التغريب عند الدكتور زكى هو: الفلسفة النسبية، ونظرته إلى الثقافة ككل. فالثقافة عنده "أدوات عيش" لا فرق فى ذلك بين الفأس والمغزل والعقيدة والشريعة!! وكل عناصر الثقافة يمكن أن تتغير ويحل محلها غيرها إذا ثبت أنها لا تؤدى إلى ما يراد لها من خدمة فى "العيش"! وليس ثمة عنصر ثقافى مقدس عنده؛ فكل شىء قابل للتعديل والتغيير! وهذه هى الفلسفة النسبية المعادية لكل الثوابت، والتى تصادم "النصوص" الثابتة ويسعى فلاسفتها إلى تخطيها وهجرها، لكى يتمكنوا من أن يحيوا حياة أوربية كاملة، بجذورها وجذوعها وفروعها وأوراقها وثمارها جميعًا. فلا تغريب إذن بدون النسبية.

استمع إليه يقول: "إن مجمل الحياة الثقافية و بالمعنى الذى حددناه، إنما هو أداة عيش؛ وهو كأية أداة أخرى، إذا لم تؤد ما كان يراد لها أن تؤديه، وجب إصلاحها أو تغييرها بأداة أصح منها. وحتى "الثوابت" من العناصر الثقافية التى تدوم أكثر مما تدوم المتغيرات من تلك العناصر عصراً بعد عصر – وأعنى الثوابت التى منها تتألف "الهوية" الوطنية أو القومية. أقول إنه حتى تلك "الثوابت" من عناصر الحياة الثقافية لشعب معين، لا ينبغى أن يكون لها من القداسة ما يمنعنا من تعديلها إذا وجد أنها

(١) مستقبل الثقافة فى مصر؛ ص ٤٨ .

(٢) نفسه؛ ص ٦٣ .

قد فقدت شيئًا من قدرتها على أن تهيئ لصاحبها فرصة الحفاظ على حياته قوية مزدهرة" (الأهرام٢٧ / ١٢ / ١٩٨٨).

فكل شيء متغير قابل للتعديل والإبدال والإحلال ولا شيء مقدس ولا شيء ثابت مطلق. كل ما في الأمر أن التغير نسبي، يسرع في أشياء ويبطئ في أخرى. والحفاظ على الحياة القوية مزدهرة هو الهدف الأقصى لكل عناصر الثقافة؛ وكل ما يثبت أنه يقربنا من ذلك الهدف أكثر من غيره، يجب أن نأخذه وأن نستبدله بما هو أقل منه قدرة على إبلاغنا ذلك الهدف الأقصى.

والنصوص بحروفها، هي العدو اللدود لهذه الفلسفة النسبية السوفسطائية، إنها هي التي تقدم الثوابت والمطلقات الخالدة في الفكر والتشريع والأخلاق والنظم. ومن هنا كثر الحديث حول "روحها" و"حروفها" بغية الالتفاف حولها بالتدريج، لكي يطاح بها في نهاية المطاف!

والنسبية الجذرية الشاملة، التي يؤمن بها الدكتور زكي ويروج لها عبر مقالاته في الأهرام وفي كتبه، تقوم على أساس من الخلط بين "**الحقيقة**" و"**معرفة الإنسان بها**". وهذا خطأ. "فالحقيقة" ثابتة مطلقة لا تتغير. لكن "معرفة" الإنسان تتغير وتتطور. والقول نفسه يصدق على العقائد الدينية والقيم التشريعية والأخلاقية. فالتوحيد، والعدل، والإيثار، كقانون الجاذبية وحقائق الهندسة، كلها ثابت مطلق خالد. سواء عرفها البشر أو جهلوها، وسواء التزموا بها أو انتهكوها.

وهذه الثوابت في العقيدة والشريعة والأخلاق، وكذلك النصوص القطعية التي تنطوي عليها، لا تتصل بجمود الفكر من بعيد أو قريب، وإنما هي العواصم من عواصف الهوى والشهوات والرغبات الإنسانية، والدليل على ذلك أن أوربا حين تفلتت من ثوابت الدين استحلت الاستعمار ونهب الشعوب المستضعفة، واستباحت دماء البشر في إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية، بل في أوربا نفسها، فقُتل ٦٠ مليون إنسان في الحرب العالمية الثانية؛ وقد انتهت الفلسفات النسبية واللادينية إلى تركيع العالم كله لدولة واحدة ظالمة هي أمريكا، وانتهكت كل القيم حتى تزوج الرجلُ الرجلَ. وصار الشذوذ هو القاعدة والزواج هو الشذوذ، وصارت غالبية النشء لا يعرف أحد منها أباه أو أمه، وحُرمت الملايين من الأطفال غير الشرعيين من حق الحضانة

الأسرية، والأمومة والأبوة؛ وترتب على ذلك تضاعف أعداد الجانحين والمجرمين، والمختلين عقليًّا ونفسيًّا. وصرخ الجميع من "الإيدز" والسيلان والزهرى، وصارت معاقرة الخمر كابوسًا رهيبًا يفتك بأكباد الملايين؛ هذا فضلاً عن ظواهر الاغتراب والانتحار المفزعة!

فالثوابت والمطلقات فى الإسلام لا تعوق الفكر ولكنها تعصمه من التخبط والزلل والخضوع للأهواء والشهوات. ونحن نتمنى أن يفتح العلمانيون ملفات الجمود الفكرى من خلال أمثلة محددة يظن أنها تسبب الجمود. إنهم بذلك يخدمون قضايا الفكر الإسلامى والعربى. أما "التهويم" والرمز، والإغراق فى الإجمال، والخوف من التحديد، وتحاشى الأمثلة المعينة، فإنه لا يفيد فى شىء سوى إصابة الفكر بالغموض، والعقم تبعًا لذلك.

وصفوة القول، بعد هذه المحاولة، إن الدكتور زكى لم يغير هدفه البعيد، ولا هو تحول عن فلسفته القديمة، إنه بدأ بالعمل فى سبيل التغريب، ولا يزال يعمل فى هذه السبيل نفسها. كل ما فى الأمر أنه ترك التغريب الكلى، مؤقتًا، لكى يجاهد فى سبيل التغريب الجزئى، تحت شعار "التوفيق". ومن وجهة النظر الإسلامية الموقف الأول أهون خطراً من الثانى، لأنه واضح، صريح فى حين أن الثانى غامض، ملتبس، خفى، ويرفع المصحف فى وجه المسلمين، ويغمد العلمانية اللادينية المسمومة فى قلوبهم!

* * *



obeikandl.com

# عبد الرحمن بدوى
# من الوجودية إلى الإسلام
# حدث ثقافي كبير

إن التحول الذى طرأ على فكر الدكتور عبد الرحمن بدوى حدث ثقافى كبير، وكما أنه أسعد قلوب المؤمنين فإنه أثار حفيظة العلمانيين الذين حاولوا تفسير تحوله بتوجيه الاتهامات إلى ضميره مستخدمين لغة سوقية أقرب ما تكون إلى السباب!

ولقد وصف أحدهم مؤلفات بدوى الإسلامية بأنها ردة - ردة من العلمانية إلى الإسلام، أو من التنوير إلى الظلامية، أو من الحداثة وما بعد الحداثة إلى الماضوية! وقال أستاذ معروف من أساتذة الفلسفة فى الجامعات المصرية: "إن بدوى كتب إسلامياته الأخيرة طمعاً فى أموال الدول النفطية التى تغدق العطاء على مثل تلك المؤلفات" وقال آخر إن بدوى تقدمت به السن فخاف من اللقاء الأخير - بمعنى لقاء الله - فكتب دفاعه عن القرآن وعن نبى الإسلام تحت وطأة ذلك الخوف!

بهذا الأسلوب المبتذل فسر العلمانيون الكبار ذلك التحول الكبير فى فكر رائد مرموق من رواد الدراسات الفلسفية فى العالم العربى والإسلامى، فاستدعى الأمر وقفة مراجعة وتمحيص تعيد الحق إلى نصابه.

إن الدكتور عبد الرحمن بدوى ليس من ذلك الطراز الذى يغريه ذهب المعز أو يخيفه سيفه، ولم يكن بدوى فى أى يوم من الأيام بحاجة إلى المال، إذ ينتسب إلى أسرة واسعة الثراء، وحتى لو كان بدوى من أسرة معدمة، كبعض نقاده، لما ساوم النظم التى حكمت مصر على حرية فكره، كما فعلوا هُم. لم يكن بدوى من ذلك الطراز الذى يكتب للحكام، ويتحول ويتبدل حيث تحولوا وتبدلوا، من الليبرالية إلى الاشتراكية، أو الشيوعية، ومن الوطنية إلى القومية، وبالعكس؛ الأغلبية الساحقة كانت تتحول وتتبدل كالحرباء، وبدوى مقيم على الدرس والبحث، ثابت على مذهبه

الوجودى، العلمانى، عامل من أجل نصرته، رافض رفضًا باتًّا للفكر السائد، لا يساوم ولا يرتزق.

ثم تحول بدوى إلى الإسلام بعد غربة امتدت إلى ربع قرن فى فرنسا، ولا أظن أنه كان تحولاً مباغتًا، وبواعثه علمية بحتة، فقد قضى مرحلة النضج فى فرنسا، حيث الحرية الفكرية متاحة على أوسع نطاق، ولا يوجد باعث ضاغط سوى حب الحقيقة ورفض الخطأ والزيف، ولم يتردد بدوى فى التعبير عن الحقيقة التى آمن بها من خلال مؤلفاته الأخيرة التى دافع فيها عن القرآن وعن النبى الذى جاء به، فى مواجهة كبار المستشرقين الذين تورطوا فى التحامل على محمد ﷺ وعلى دينه تحت وطأة التعصب الأعمى الموروث، والجهل باللغة العربية والإسلام.

وكان بدوى شجاعاً بحق، فليس بوسع مفكر جبان أن يتحول من الكفر إلى الإيمان، ومن المعسكر القوى السائد، والحاكم، فى الجامعات ومراكز البحث، والإعلام والثقافة، إلى المعسكر الضعيف، المتهم بالتخلف والرجعية والماضوية والظلامية والأصولية والإرهاب! ولولا شجاعة بدوى لتردد كثيراً، وتلعثم، ووقف على الحدود، يقدم رجلا ويؤخر الأخرى، خشية العواقب، كما فعل بعض رواد الفلسفة الوضعية، مثلاً، فالكتاب الأول فى السلسلة الإسلامية الأخيرة عنوانه: "دفاع عن القرآن ضد منتقديه"، صدر سنة ١٩٨٦ . وهو حملة علمية هائلة على كبار المستشرقين، وهو ينزع عنهم الهالة العلمية التى أحاطت بهم؛ ويُسقِط صورتهم كمثل عليا للبحث الموضوعى الرصين. والكتاب الثانى عنوانه: "دفاع عن سيرة النبى محمد ضد المنتقصين منها"، صدر سنة ١٩٩٠، وأنا لم أطلع عليه بعد، ولكن بدوى صرح بأنه يسير فيه سيرته فى الكتاب الأول. والكتاب الثالث عنوانه "الإسلام كما فهمه فولتير وهيردر وجيبون وهيجل". وهو الحلقة الثالثة فى هذه السلسلة الإسلامية.

**الثورة الروحية:**

فى أول كتاب ألفه بدوى سنة ١٩٣٩ عن "نيتشه"، ولم يكن قد تجاوز الثانية والعشرين من عمره، وضع لنفسه غاية كبرى سماها ثورة روحية، فقال: "فليس من شك فى أن هذا الوطن فى أشد الحاجة إلى الثورة الروحية على ما ألف من قيم... فى أشد الحاجة إلى أن يطرح هذه النظرة القديمة فى الوجود والحياة، كى يضع مكانها

نظرة أخرى، كلها خصْب وكلها قوة، وكلها حياة" . وهذا هو ما أُسميه أنا "الإحلال الثقافي الشامل"، أى إحلال الثقافة الأوربية، الحديثة، محل الثقافة الإسلامية القديمة. ولم يكن بدوى مخترعًا لفكرة الإحلال الثقافي الكامل، فقد عرفتها دوائر عديدة، وأفراد أكثر عدداً، منذ الغزو الفرنسى لمصر سنة ١٧٩٨ م، وقد اجتهدوا لإنجازه، وهو ما عبر عنه الدكتور طه حسين فى كتابه: "مستقبل الثقافة فى مصر" حيث دعا إلى أن: "نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء فى الحضارة، خيرها وشرها،حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب" .(١)

ومن أجل إنجاز تلك الثورة الروحية خطط بدوى لنفسه مشروعا بحثيًّا كبيراً لتقديم "خلاصة الفكر الأوربى إلى أبناء هذا الجيل"، وما يريده بدوى من مشروعه الضخم هو أن يحمل أبناء هذا الجيل: "على أن يفكروا فيما فكر فيه العقل الأوربى . . . كى يتخذوا من هذا النظر وذلك التأمل والتفكير دافعًا ومادة وأداة من أجل إيجاد هذه النظرة الجديدة . ." (راجع: نيتشه، التصدير).

فالغاية النهائية للثورة الروحية هى: إيجاد نظرة جديدة فى الوجود والحياة لتحل محل النظرة القديمة التى هى النظرة الإسلامية، وعلى العقل العربى أن يفكر فيما فكر فيه العقل الأوربى، ولذلك بذل بدوى أقصى جهده لوضع ثمار العقل الأوربى أمام العقل العربى. فكتب عن أفلاطون وأرسطو والأبيقورية والرواقية، وعن فلاسفة العصور الوسطى الأوربيين. وعن الفلاسفة الأوربيين المحدثين والمعاصرين، وحقق مؤلفات ضخمة لأرسطو ولتلاميذه العرب، وترجم لأعلام الفلسفة الوجودية.

وبعد مضى ستين عامًا على ثورة بدوى الروحية وبعد مضى مائتى عام على بداية عملية الإحلال الثقافي، وبعد الجهود الجبارة التى بذلت لإنجازه، لم يتم منه إلا القليل، وظلت النظرة الإسلامية سائدة، وعاد الإسلام فى هيئة صحوة واسعة النطاق، وفى شكل حكم سياسى ودساتير وشرائع وقوانين، واحتاج العلمانيون إلى الاستبداد والقمع وتزوير الانتخابات للاحتفاظ بالنظم العلمانية.

---

(١) انظر: مجموعة أعماله الكاملة -المجلد التاسع ص ٤٨ .

ولم تتشكل نظرة جديدة في الوجود والحياة، وإنما وجدنا نظريات أوربية مادية يتبناها بعض أساتذة الجامعات مثل أحمد لطفى السيد الذى روج لعقلانية أرسطو، وطه حسين الذى بشّر بالديكارتية، وزكى نجيب محمود الذى تبنى الوضعية المنطقية وبدوى الذى اعتنق الوجودية، وعدد من أتباع دارسى الفلسفة اتبعوا "هيجل" وجدليته، وماركس وماديته، وأرتال من البراجماتيين "النفعيين"!

**ثم كانت الحادثة التى رجت الوسط الثقافي العلمانى رجة شديدة، ألا وهى تحول الدكتور عبد الرحمن بدوى إلى الدفاع عن القرآن ضد منتقديه من الفلاسفة والمستشرقين الأوربيين، وإلى تقديم السيرة النبوية العطرة إلى شعوب أوربا بالفرنسية، والدفاع عن صاحبها ﷺ، وتوكيده أن: "القرآن يخرج دائماً منتصراً على منتقديه".** (١)

## وجودية بدوى:

وكان بدوى قد أعلن عن خطوط عريضة لمذهبه الوجودى فى رسالته لنيل درجة الدكتوراه سنة ١٩٤٣م، وتحت تأثير نيتشه وكركجارد وهيدجر انتهى إلى القول بأن "الوجود زمانى" بمعنى أنه "لا وجود دون زمان".

"فإن كل ما يتصف بصفة الوجود لابد أن يتصف بالزمانية" بل علاوة على هذا فإن ما يدعونه "فوق الزمان" أو "خارج الزمان" هو أيضًا زمانى." (٢) وهو هنا يرفض العقيدة الإسلامية التى تقرر أن الله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ (سورة الحديد: ٣). فالله خالق كل شيء، وهو موجود قبل وجود المخلوقات، ومنها الزمان والمكان.

إن بدوى يعارض النظرة القديمة، هو يعارض القرآن الذى عاد هذه الأيام إلى الدفاع عنه بحرارة ضد منتقديه!

وبعد إعلان مذهبه الوجودى سنة ١٩٤٤م، لم يواصل بدوى تطويره واستكماله. وقد كان رئيسًا لقسم الفلسفة فى الفترة من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٢م، حين

---

(١) راجع الترجمة العربية لكتابه: "دفاع عن القرآن ضد منتقديه" ص ١٦.

(٢) راجع كتابه: الزمان الوجودى؛ ص ٤٦.



obeikandi.com

كنت أنا طالبًا بكلية الآداب فى جامعة عين شمس، ودرّس لنا بدوى المنطق ومناهج البحث والفلسفة الإسلامية، ولم يُدرّس الفلسفة الوجودية، لكنه كان يعمل فى دأب فى خدمة مشروعه الثقافي الكبير؛ أعنى إحلال النظرة الوجودية محل النظرة الإسلامية، عن طريق تقديم الفكر الأوربى القديم والحديث والمعاصر إلى أبناء العربية، بتحقيق العديد من المؤلفات، وبالتأليف والترجمة. وحتى كتاباته تحت عنوان "الدراسات الإسلامية"، كانت لخدمة ذلك المشروع، فلم يكن معظمها جديراً بأن يوضع تحت هذا العنوان، وكيف يكون "منطق أرسطو" و"المثل العقلية الأفلاطونية" و"فن الشعر لأرسطو" و"أفلوطين عند العرب" – مثلاً – مؤلفات أو دراسات إسلامية؟! إن هذه الكتب دراسات فى الفلسفة اليونانية القديمة التى تُرجمت إلى العربية وكانت المصدر الرئيسى للفلسفة العربية "التى تسمى أحياناً الفلسفة الإسلامية". لكن من المؤكد أن بعض دراساته الإسلامية استحق وصفه "بإسلامية"، مثل كتابه: "مؤلفات الغزالى" الذى يمثل قدرات بدوى الفائقة فى المثابرة والدقة وسعة الاستقصاء، تلك التى لا يضاهيه فيها أحد من المعاصرين. ولم يخطئ بدوى فى حق مشروعه الثقافي الكبير بأن يحقق كتابًا فى التفسير أو الفقه أو أصول الفقه مثلاً، إلى أن وقعت الواقعة الأخيرة فى تطوره الفكرى.

كان بدوى مولعًا بالفلسفة اليونانية القديمة، شديد الاهتمام بتجديدها، انظر إلى سطوره التالية فى مقدمة كتابه: "خريف الفكر اليونانى" الذى ألفه سنة ١٩٤٢م – وهو يومئذ، فى الخامسة والعشرين من عمره – لتعرف قدر ذلك الولع. يقول بدوى: "فوداعًا إذن أيتها الروح الإلهية الخالدة! وداعاً أيتها المعجزة الإنسانية الكبرى. وداعًا أيها الرمز الأعلى للنبل والحق والجمال. ها أنت قد حققت الصورة العليا للإنسانية، وتجسدْت كل القيم الأزلية، وهديت الإنسان سواء السبيل، وما على الأجيال المتلاحقة إلاّ أن تقيم لعبادتك المراسم والطقوس، صادرة فى كل نبيل من الفعَال عن وحيك، وما علينا نحن المؤمنين بقداستك، المستلهمين لروحك، إلا أن نحَاول اليوم جهدنا أن نُجددك، وأن نخلق روحًا جديدة على غرارك، إن كان شيئاً من هذا فى الإمكان". (ص: و، ز)

ولم يكن هذا الكلام مجرد تعبير إنشائى انفعالى موقوت، وإنما تعبير جاد عن

المشروع الثقافي الكبير لبدوى، وعهد يقطعه على نفسه بالعمل والاجتهاد، لخلق روح جديدة، أو فلسفة جديدة، عقلانية، على منهج اليونان القدماء وأحفادهم الفلاسفة المعاصرين. وقد حقق بدوى – أو خيل إلينا أنه حقق – تلك الغاية حين أعلن عن مذهبه الوجودى فى رسالته الجامعية لنيل الدكتوراه.

### القيمة العملية لوجودية بدوى:

فإذا تساءلنا: ما القيمة العملية لوجودية بدوى؟.. لم نجد للجواب سوى الدعم للمذاهب العلمانية التى عرفت فى أوربا، ونقلت إلى العربية، كالعقلانية، والوضعية المنطقية، والمادية، والبراجماتية. فهذه المذاهب تستبعد الدين – أو وحى السماء – وتقيم الحياة البشرية فى الجوانب الفكرية والعملية على العقل والتجربة، والخبرات البشرية عامة، وهذا هو ما اعتنقه بدوى، حين نفى كل وجود خارج الزمان، وبذلك نفى وجود الله، ونفى الوحى بنفى الألوهية، وهذا يقودنا إلى التساؤل عما إذا كان بدوى قد تخلى حقًّا عن مذهبه الوجودى المناقض للإيمان الإسلامى؟

فى الجواب عن هذا التساؤل لا نجد جوابًا واضحًا، قاطعاً. حقًّا إن كلام بدوى فى مؤلفاته الإسلامية الأخيرة يوحى بأنه نبذ الوجودية الملحدة، وعاد إلى الإيمان بالله وبالقرآن وبمحمد ﷺ. فمن التناقض أن يدافع بدوى عن القرآن الكريم، ذلك الدفاع الحار القوى، وعن النبى ﷺ وهو لا يؤمن بهما. فأنا أرجح أنه نبذ الوجودية الملحدة، ولكن الموضوعية تقتضى أن نستبقى شيئاً من التحفظ فلم يعلن بدوى حتى وفاته إعلاناً صريحاً أنه نبذ الوجودية بعد أن اكتشف زيفها.

وبعد، فلابد أن أخبر القارئ أننى إذا أثنيت على بدوى أو انتقدته فذلك مبرأ من المشاعر الشخصية والتحيز معه أو ضده. ولا ريب أننى سعدت بتحوله الفكرى الأخير، ولكن ليس إلى الحد الذى ينسينى الموضوعية الواجبة فى الدراسات العلمية. وقد كان بدوى أستاذاً لنا فى قسم الفلسفة، لكنه كان عديم الصلة بنا، ربما تطبيقًا لفلسفته![1] ولذلك يكذب كل تلميذ لبدوى يزعم أنه أقام معه علاقات إنسانية حميمة كتلك التى كنا نسمع أنها تسود فى علاقة الأساتذة بتلاميذهم. أما الاحترام والتقدير والإعجاب فله منا القدر الأوفى، رحمة الله عليه.

---

(١) راجع كتابه: دراسات فى الفلسفة الوجودية ط٢سنة ١٩٦٦ ص ٢٤٠.

# قراءة في كتاب
# «دفاع عن القرآن ضد منتقديه»

هذا كتاب قيّم بالمعايير الإسلامية والعلمية والثقافية، وتتضاعف قيمته بقيمة مؤلفه الدكتور عبد الرحمن بدوى، الذى يتبوأ القمة السامقة فى مجال الدراسات الفلسفية فى العالم العربى، والذى يتمتع بالاستقلال الفكرى، ويرفض بكل صراحة ممالأة السلطة - أية سلطة - سواء سياسية أو أكاديمية أو ثقافية، وهو الذى لم يقبل المساومة على فكره، أو التكسب من قلمه، كما فعل غيره. وبذلك عاش فريداً، فذاً، فى استقلاليته وتحرره، إلا مما يوقن بأنه الحق والعدل، فكان بذلك قدوة رائدة لأجيال من الباحثين والكتاب والمفكرين.

ومن المؤكد أن الذين لا يعرفون الدكتور بدوى وخطه الفكرى الأول لن يندهشوا إذا قرأوا له كتاباً كهذا الذى بين أيدينا، حيث يدافع عن القرآن الكريم ضد منتقديه من المستشرقين. فمن الطبيعى أن يفعل ذلك أى أستاذ مسلم يقدر عليه، ولكن الذين يعرفون الدكتور بدوى ونزعته الفلسفية لابد أن تبلغ بهم الدهشة مداها فلا يكاد الواحد منهم يصدق ما يقرأ !

فلقد كان الدكتور بدوى باحثًا علمانيًّا منذ كتب رسالته لنيل الماجستير وفى مؤلفات الشباب، وفى رسالة الدكتوراه، وهى دراسة فى الفلسفة الوجودية الملحدة!

وكانت خطته المعلنة أن يواصل تطوير أفكاره الوجودية التى بلورها فى تلك الرسالة، وقد قطع شوطًا فى خطته تلك، تأليفًا وترجمة.

وترك الدكتور بدوى مصر، لينتهى به المطاف فى فرنسا، منذ حوالى ربع قرن. وفى فرنسا، ووسط مناخ ثقافى علمانى مادى يعادى الأديان، والإسلام خاصة، حدث تحوله الفكرى قليلاً قليلاً، حتى أصبح الفيلسوف الملحد - سابقاً - المحامى الأكبر عن القرآن، وعن الإسلام، وعن نبى الإسلام! وعلى يديه انتصر القرآن الكريم على كل منتقديه المتعصبين من المستشرقين اليهود والنصارى والملاحدة. وقد أودع دفاعه العلمى الرصين الموضوعى، فى هذا الكتاب، وواجههم به فى عقر دارهم وبلغتهم!

ولا ريب أن هذا الكتاب الوجيز ( ١٨٠ صفحة ) لطمة قوية للاستشراق . فإذا كانت نظرة الكثيرين إليهم - قبل صدور هذا الكتاب - نظرة الثقة والتبجيل، فإن نظرتهم لابد أن تتبدل، فيحل الارتياب محل الثقة والاستخفاف محل التبجيل. وكيف لا بعد أن أثبت بدوى أن كثيرين منهم، بل من كبارهم، متعصبون، كذبة، وحاقدون مدلسون؟!

وكيف لا بعد أن أثبت بدوى أن التعصب ساق كثيرين من كبارهم إلى العمى والهذيان؟!

و الدكتور بدوى هو أقدر الباحثين العرب على إعادة تقويم أعمال المستشرقين، بسبب استقلاليته الفكرية، وسعة علمه، ومعرفته لأكثر من عشر لغات أجنبية، وتفرغه التام للبحث العلمى.

**الترجمة العربية:**

وقبل أن نعرض لمضمون الكتاب نقدم تقويمنا للترجمة العربية.

فنبدأ بشكر الدكتور جاد الله على ترجمته لهذا الكتاب الثمين، ومن المؤكد أنه عانى الكثير لإتمام ترجمته. والظاهر أن الترجمة لم تنل حظها من المراجعة والتدقيق، فوقعت أخطاء عديدة متنوعة نبيِّنها فيما يلى:

وأول خطأ يتمثل فى الاضطراب فى ترتيب اسم المؤلف واسم الكتاب واسم المترجم. فورد اسم المترجم ثلاث مرات، ووُضع قبل اسم المؤلف فى إحداها، وورد خماسيًّا أخرى! ويظهر أن العنوان الفرنسى ( ص٣ من الترجمة العربية ) قد سقطت منه كلمة contre

ويشعر القارئ بأن المترجم أضاف من عند نفسه بعض الكلمات والعبارات دون أن يشير إلى ذلك، مثل كلمة: "سيدنا" ( محمد ) وعبارة "رضى الله عنه". ولا مانع من هذه الإضافات شريطة أن يبين ذلك، ويحصرها بين أقواس، ويذكر فى الهوامش أنها من عنده.

وأورد المترجم آيات قرآنية دون أن يحصرها بين أقواس، فاختلطت بكلامه! هذا فى أول الترجمة، لكنه تدارك الأمر بعد ذلك. وكان عليه أن يضع أقواسًا حول كل الآيات القرآنية بدون استثناء لكنه لم يفعل.



openkanadi.com

ويضطرب نص الترجمة أحيانًا بحيث يستحيل فهم المراد منه! مثال ذلك فقرات فى الصفحات أرقام ٨، ٩، ٤٩، ٦٠، ٧٨، ١٢٢ .

وأضاف إلى ذلك سوء الترقيم وسوء التبويب مما جلب صعوبات كثيرة تعرقل الفهم السديد للنص. فهناك نقص فى علامات الترقيم، وهناك أخطاء فى استعمالها. وقد كثر الترقيم وتعددت الأرقام والرموز وتداخلت بصورة مربكة للقارئ العربى (انظر ص ١٣٤ مثلاً).

ولم يورد المترجم الأسماء الأجنبية بالحروف اللاتينية، ثم إنه لم يثبت -أحياناً- على صيغة عربية لرسمها، من ذلك مثلاً أنه كتب اسم المستشرق "سبير" بثلاث طرق، فكان: إسباير، وسابير، وسبير! (ص ٥٨، ص ١٢٩).

وبالإضافة إلى هذا هناك أخطاء مطبعية وإملائية وأسلوبية.

وقد اقترح المترجم مراجعة المصادر العربية الكبرى، مثل تفسير الطبرى "حتى لا تظل هذه الكتب بحالتها قاعدة ينطلق منها الطاعنون على الإسلام". (ص ١٠).

لكنه لم يوضح كيف تكون تلك المراجعة، فإذا تذكرنا أن تلك الكتب طبعت ونشرت مرات عديدة، ونسخها موجودة فى معظم مكتبات العالم، وفى أيدى آلاف الأفراد، لأدركنا أن العمل الوحيد الممكن هو العناية بالتعليق والشرح والتمحيص الدقيق لما ورد بها من أخبار وآراء، وإبراز الحقائق وتوكيدها، وتزييف الزائف منها، ثم إعادة نشرها. يضاف إلى هذا مواجهة الطاعنين على الإسلام المواجهة العلمية الموضوعية الرصينة، كما فعل أستاذنا الكبير الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه موضوع العرض هنا.

**لماذا ينتقد المستشرقون القرآن الكريم؟**

يعتقد المستشرقون أن محمداً ﷺ هو الذى ألف القرآن، ولإثبات اعتقادهم هذا حاولوا اكتشاف أية أخطاء فى القرآن؛ كما حاولوا إثبات أن محمداً ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة، وأنه قرأ التوراة والإنجيل والمزامير، واستفاد منها فى تأليف القرآن!

وقد عرض الدكتور عبد الرحمن بدوى بالبحث لحوالى اثنتى عشرة مسألة، تمثل

أمهات المسائل لدى المستشرقين. **وأثبت زيف آرائهم جميعًا. وأكد أن القرآن الكريم يخرج منتصراً عليهم فى كل تلك المسائل. فلا وجود لتلك الأخطاء والاقتباسات الوهمية المزعومة.**

**( ١ ) أمية النبى ﷺ :**

بذل المستشرقون جهوداً مضنية لإثبات أن النبى ﷺ نقل عن التوراة والأناجيل والمزامير. ولابد أن يكون النبى عارفًا للقراءة والكتابة لكى يتيسر له النقل والاقتباس. فكان لابد من نفى الأمية عنه، تلك التى أثبتها القرآن الكريم فى أكثر من آية. ويعلق الدكتور بدوى على آرائهم فى هذه القضية فيقول إنه: "لكى نفترض صحة هذا الزعم لابد أن نفترض أن محمداً كان يعرف اللغات العبرية والسريانية واليونانية، ولا بد أنه كان يملك مكتبة عظيمة تشتمل على كل الأدب التلمودى والأناجيل المسيحية"، لكن محمداً لم يعرف سوى العربية، ويستحيل إثبات معرفته لأية لغة أخرى. وسيرة النبى ﷺ تؤكد أنه لم يقرأ ولم يكتب، وإلا لما أملى آيات التنزيل على كتبة الوحى.

فمزاعم المستشرقين حول أمية النبى ﷺ "فروض زائفة"، وتفسيراتهم خاطئة وسخيفة وعابثة ودعواهم كاذبة ( ص ٢٢،٢٣ ).

( ٢ ) وقد حاول المستشرق "هيرشفيلد" عقد مقارنات بين "سورتى الرحمن والنحل"، و "المزامير" للعثور على أوجه شبه تسوغ له الزعم بأن محمداً نقل عن المزامير!

وبعد الدراسة الدقيقة ينتهى الدكتور بدوى إلى القول إن محاولات "هيرشفيلد" عبث وادعاء وهذيان مرضى! ( ص ٣٠، ٣٣، ٣٦ ). وأن دراساته الثلاث "ليس لها قيمة، لأنها قائمة على أوجه شبه افتراضية، وعلى آراء مبتسرة، ومقدمات لا أساس لها، وتفتقر إلى الفهم افتقاراً كاملاً. وتعويضاً ومكافأة له عن تلك الصفات ( غير العلمية )، أصبح هيرشفيلد أستاذاً بجامعة لندن سنة ١٩٢٤م". ( ص ٣٨ )

والدكتور بدوى يشير هنا إلى حقيقة معروفة ومخجلة، وهى أن كثيراً من

الجامعات الأوربية والأمريكية لا تفسح مجال التدريس فيها – فى أقسام الدراسات الشرقية – إلا لأمثال "هيرشفيلد" من المتعصبين ضد الإسلام.

(٣) وحاول "جانو" – أيضًا – افتعال أوجه شبه بين الآية رقم ٣٥ من سورة النور، وفقرة من كتاب زكريا "العهد القديم". وينفى الدكتور بدوى وجود أى تشابه بين النصين. ويقول إن تشابه "جانو": "هذيان اختلقه من خياله هو"، (ص٤١) فلا وجود لأى تشابه فى الحقيقة.

(٤) ثم ينتقل الدكتور بدوى إلى مناقشة مزاعم "هوروفيتس" (١٨٧٤–١٩٣١) بأن عبارة "أيام الله" التى وردت فى القرآن الكريم مقتبسة من التراث اليهودى. وبعد فحص مزاعم "هوروفيتس" يصفها بدوى بأنها زيغ وضلال، ويقول إن صاحبها كان دائمًا: "أستاذ هذا الضلال" (ص٤٣).

وقد حاول "هوروفيتس" إثبات أن النبى ﷺ اقتبس ألفاظًا عديدة من التراث اليهودى، (مثل ألفاظ: عبادة – صدقة – أمانة!)، ويعلق بدوى على هذا الهراء قائلاً: إن اللغتين العربية والعبرية لغتان ساميتان، ومن ثمة وجدت فيهما ألفاظ متشابهة عديدة: "ومن المستحيل أن نحدد من اقتبس تلك الألفاظ من الآخر: العربية أم العبرية؟"، وعلى هذا يقرر الدكتور بدوى أنه: "ليس من الممكن أن نقول إن محمداً ﷺ اقتبس هذه الألفاظ المشتركة مباشرة من يهود عصره" (ص٤٤). وهذا منطق سديد لا يمكن رفضه.

(٥) وحاول "هنرى سبير" إثبات أن الآيات التى وردت فى سورة الكهف (رقم ٣٢–٤٤) مقتبسة من "مدراش رابال اللاوى". ويعقد بدوى مقارنات مفصلة بين النصين تنفى وجود اقتباس، "فليست هناك علاقة مطلقًا بين التشبيه القرآنى – الذى ورد فى هذه الآيات الكريمات – وهذه المدراش، لا فى التعبير ولا فى المحتوى، ولا فى الفائدة التى نخرج بها منها"، (ص٥٤). ويرد بدوى مزاعم "سبير" إلى التعصب الذى أعمى قلبه، ويقول إن: "حالته مثل حالة "هيرشفيلد" تحتاج إلى علاج نفسى" (ص٥٥). و"إن دراساته عبث وعار على العلم" (ص٥٧).

وعلى المنوال نفسه، وللغرض غير العلمى ذاته، حاول نفر من المستشرقين إثبات

أن لفظ "الفرقان" الذى جاء فى التنزيل الحكيم مقتبس من لفظ "فرقانة" السريانى، أو الكلمة اليهودية الآرامية "فرقان"، ومعناها "الإنقاذ" فى المسيحية. ويعلق بدوى على هذه الادعاءات قائلاً: "إنها سخف لا تشهد بصحته أية وثيقة أو أى مصدر"، (ص٦٣) ويبين أن لفظ "الفرقان" لفظ عربى، وهو اسم فعل أو اسم مصدر من الفعل "فرق".

(٦) وقد خصص الدكتور بدوى الفصل الرابع لمناقشة خرافات المستشرق "مارجوليوث" (١٨٥٨-١٩٤٠م) الذى عاش طيلة حياته عدواً لدوداً للإسلام. ودفعه تعصبه البغيض إلى أن يسوق أحكاماً بالغة الغرابة هاجم بها النبى ﷺ وأنكر رسالته، كما يقول بدوى بحق (ص٦٦-٦٧). ومن أمثلة هذيان "مارجوليوث" زعمه أن لفظ "مسلم" يعنى واحداً من أتباع مسيلمة !! وأن إبراهيم - عليه السلام - لم يكن معروفًا للعرب فى مكة قبل بعثة النبى ﷺ وذلك هو الزعم الذى أخذه عنه طه حسين، وأثار ضجة كبيرة.

ويعلق بدوى على كلام هذا المستشرق فيقول: "إنه لو كان يعرف حداً أدنى من اللغة العربية لعلم أن النسبة إلى "مسيلمة" هى "مسيلمى" وليس "مسلم"! ولكن تعصبه أعماه" (ص٦٧). وعن المسألة الثانية: يذكر بدوى أن العرب فى مكة وفى الجزيرة العربية عرفوا اليهود والنصارى واختلطوا بهم. وإذا كان إبراهيم -عليه السلام- معروفاً يقيناً لليهود والنصارى، فهو معروف لدى خلطائهم من العرب دون شك.

ومن آراء المستشرق "مارجوليوث" المضحكة زعمه أن صلاة المسلمين وصيامهم وتحريم الخمر، كل ذلك مرتبط بالتدريبات العسكرية!! وهذا هراء لا تصح مناقشته أصلاً!

(٧) وأما "جولد تسيهر" (١٨٥٠-١٩٢٠) فيزعم أن عقيدة التوحيد فى الإسلام مقتبسة عن اليهودية، وينفى بدوى هذا الزعم مبيناً أن الإله فى اليهودية هو إله عنصرى لليهود وحدهم دون سائر البشر، فى حين أن الله فى الإسلام هو ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وحاول "جولد تسيهر" إثبات أن صيام رمضان والقبلة وتزكية الذبائح مقتبسة عن اليهودية.

ويأخذ عليه بدوى هنا الافتقار إلى الأدلة والشواهد، الأمر الذى يجعل مزاعمه زائفة (ص٧٤-٨٠). والحق أنه بغير أدلة وشواهد ومصادر علمية موثوق بها لا يجوز لأحد ان يقول بمثل تلك الآراء. فإذا تجاسر وانتهك أصول المناهج العلمية، سقط من زمرة العلماء ولم تعد لآرائه أدنى قيمة.

(٨) وقد أثار "أسبرنجر" و"هوروفيتس" و"كارادى فو" مسألة الصابئين، الذين ذكروا فى القرآن الكريم، وزعموا أن النبى ﷺ قد عرفهم عن طريق اليهود. وقد وعد الله الصابئين الذين يؤمنون بالإسلام القبول والجزاء الحسن شأنهم شأن اليهود والنصارى، فقال – عز وجل – ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾، ولا يهمنا نحن المسلمين أن تكون ثمة مشكلة تتعلق بعقيدة الصابئة قبل الإسلام.

(٩) ويناقش بعد ذلك آراء "فنسنك" الخيالية فى مسألة "رسل الله" حيث يدعى أن الفكرة مأخوذة عن اليهود والنصارى! (ص٩٠) ويبين الدكتور بدوى أن الرسل فى الإسلام غير الرسل فى المسيحية. فكلمة "الشالوهط – أى الرسول – العبرية تعنى: المُرسَل (بفتح السين) إلى شخص معين. والرسل فى الأناجيل مرسلون من لدن المسيح. أما فى الإسلام: "فالرسول هو من أرسله الله بدين جديد وكتاب مقدس معبر عن هذا الدين. والنبى مهمته البشارة والإنذار فحسب". وينتهى بدوى إلى القول بأنه: "من العبث أن نعقد مقارنة فى هذا الموضوع بين المسيحية والإسلام! والأكثر عبثًا أن نزعم أن الرسول ﷺ استعار مصطلح "الرسل" من المسيحية"، (ص٩٠-٩١).

(١٠) وأما "نولدكه" فزعم أن البسملة مقتبسة من الإنجيل، ويؤكد بدوى أن هذا الزعم لا يقوم على أى برهان أو دليل، ولا يوجد مصدر يشهد له بالصحة. فهو مجرد فرض زائف. ويقول: "عبثًا بحثت فى العهد القديم فلم أجد شيئًا عن صيغة "بسم ياهوا" كصيغة للصلاة ومناجاة الله كمعنى البسملة فى القرآن الكريم". وقد جاء فى سفر الملوك الأول: "ثم تتضرعون باسم آلهتكم، وأنا أدعو باسم الرب إلهى".



obeikandl.com

( طبعة كتاب الحياة ) فلا يوجد أى تشابه، فالمسألة مجرد مزاعم كاذبة لا دليل عليها ( ص٩٥-٩٦ ).

( ١١ ) وبحث المستشرقون مسألة ترتيب سور القرآن الكريم بحسب نزولها. وكان علماء المسلمين قد اعتنوا بذلك لمعرفة الناسخ، والمنسوخ. والمنسوخ هو الذى تنزل سابقًا. والناسخ هو الذى نزل بعد، ولكن المستشرقين أرادوا اكتشاف "تطور" في أسلوب محمد مؤلف القرآن وغرضهم هو هو: أعنى إثبات أن القرآن تأليف بشرى لا تنزيل من حكيم حميد. فيقول بدوى: "إنه من الشطط، إن لم يكن من الكذب، أن نزعم أن باستطاعتنا ترتيب السور تاريخيًا - فى الفترة المكية - حسب الأسلوب". ولذلك باءت محاولاتهم بالفشل، ويؤكد بدوى أن القرآن قد رتب فى كتاب واحد هو - المصحف الإمام- فى عهد النبى ﷺ ( ص١١٣ )، وينفى أن يكون لأى مستشرق فضل فى عملية ترتيب السور حسب نزولها.

( ١٢ ) والتقط المستشرقون مسألة الألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم، وهى التى أثارها بعض الصحابة، وأدلى فيها الأئمة الكبار بآرائهم. فعبد الله بن عباس أثبت وجود كلمات غير عربية فى القرآن الكريم، وكذلك أبو موسى الأشعرى. وهناك من ينفى وجود مثل تلك الألفاظ، كالإمام الشافعى. **ويأخذ بدوى بمذهب ابن عطية الذى يقول إن تلك الألفاظ ليست عربية لكن العرب عربوها واستخدموها فأصبحت عربية قبل نزول القرآن الكريم.**

أما المستشرقون فكان غرضهم إثبات أن محمداً قد اقتبس من التوراة والأناجيل والمزامير... إلخ!!

( ١٣ ) وظن المستشرقون أنهم اكتشفوا خطأ فى القرآن الكريم، فى سورة مريم، حيث ورد النداء ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ وقد توهموا أنه يعنى أن مريم- عليها السلام - هى أخت هارون وموسى! وهذا خطأ كبير، والحق أنهم هم الذين تورطوا فى خطأ كشف عن جهلهم باللغة العربية!

ويقول الدكتور بدوى إن المشكلة لم تثر فى حياة النبى ﷺ لسبب يسير هو أن يهود المدينة ومسيحييها لم يروا فى الآية ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾، أية مشكلة لأنهم

فهموا أنها تعنى: "يا منحدرة من نسل هارون"، كما كانوا يفهمون تعبيرات مثل: "يا أخا بنى فلان بمعنى "يا منحدر من سلالة فلان". ويستشهد الدكتور بدوى بوجود مثل هذا التعبير فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾، فهو لا يعنى الأخوة، وإنما الانتساب إلى القبيلة أو القوم أو الذرية، وهذه حقيقة أسلوبية عربية معروفة لكل من له إلمام باللغة العربية، ولكن التعصب أعمى أبصار المستشرقين.

(١٤) وفى الفصل الأخير من كتابه يعرض الدكتور بدوى لجزئية من قضية الاقتباس المزعوم، ألا وهى قضية "هامان" الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم، وبما أن "هامان" ذكر فى التوراة فلابد أن يكون محمد قد اقتبسه عنها!

ويعلق الدكتور بدوى على مزاعم المستشرقين حول "هامان" فيقول: "إن هامان المذكور فى الآيات القرآنية الست ليس اسم شخص، ولكنه لقب للكاهن الأكبر لفرعون"، ويضيف قوله: "إن اسم هامان فى القرآن موافق لاسم "آمون"، والتقارب بين الاسمين كبير جداً، لأن "آمون" ينطق أيضًا "آمانا". وينتهى إلى القول إن "كل الانتقادات-التى وجهها المستشرقون إلى القرآن الكريم بخصوص هذه المسألة-فاسدة ومغرضة" (ص ١٧٩).

وهذا هو للأسف الشديد نوع المعرفة التى ينتجها بعض المستشرقين الأوربيين والأمريكيين فى حقل الدراسات الإسلامية والتى يغذون بها شعوبهم.

وهذه مناهجهم، وتلك هى أغراضهم، بعد أن عرّاها الدكتور بدوى. وبهذا الكتاب المهم تتبدد تلك الأسطورة التى صورت المستشرقين بوصفهم المثل الأعلى الذى ينبغى أن يحتذى فى كل مجالات البحث العلمى.

والحق أن المستشرقين يتحلون بالموضوعية، بل والتعاطف، حين يبحثون فى أية ملة غير الإسلام. أما حين يتناولون الإسلام ونبيه وكتابه وتاريخه، فإن التعصب الموروث يستولى على عقولهم ويطمس عليها، فينسون مناهج العلم الموضوعى، ويسلمون أنفسهم للأحكام المسبقة الباطلة التى رأينا منها فى كتاب الدكتور بدوى الكثير، والشنيع.



obeikandl.com

وزاد الطين بلة أن الغرب – بعد سقوط المعسكر الشيوعى– بدأ يتخذ من الإسلام عدواً! وبدأت كتابات عديدة تصور المسلمين على أنهم إرهابيون معادون للحضارة الغربية، كما تصور العالم الإسلامى على أنه مملكة الشر ومصدر التهديد لأمن القرن الحادى والعشرين ( كما قال كلينتون يوم ١٤/ ١١/ ١٩٩٧ )، فى أزمة مفتشى الأسلحة الأمريكيين الذين طردهم العراق.

ولم تعد الأحكام المسبقة والضلالات والأوهام التى ينتجها العقل الاستشراقى محصورة فى المجال الأكاديمى، **فقد تلقفها الإعلام الجهنمى وأخذ ينشرها على أوسع نطاق، وتسرب الكثير منها أيضاً إلى المناهج الدراسية فى معظم البلاد الأوربية. وبهذا يربون الأجيال الجديدة على كراهية المسلمين، ويعدونهم لقبول أية قرارات بحصار الشعوب المسلمة، (كما هو الحال الآن مع السودان وأفغانستان وفلسطين)**، والموافقة على أية تدخلات عسكرية "لحماية أمن القرن الحادى والعشرين".

● فماذا نحن فاعلون؟ إننا نسمع عن تحركات للتصدى لهذا الخطر تقوم بها جهات حكومية مصرية وعربية، ولكن المسألة تحتاج إلى تعبئة عامة: أكاديمية وإعلامية وثقافية، ودبلوماسية وسياسية. ولا جدوى من مؤتمرات الحوار التى ينظمها الموظفون، ولا تخطط لأى عمل جاد مؤثر.

ولا ريب عندى أن كتاب الدكتور بدوى له من الآثار ما يفوق كل المؤتمرات التى عقدت فى السنوات العشر الأخيرة. ولو كان الأمر بيدى لنشرته بكل لغات العالم، ووزعته مجاناً فى أوربا وأمريكا، خدمة للإسلام والقرآن والمعرفة الصحيحة.

* * *

# فـؤاد زكـريـا

**حقيقة انتمائه:**

أجرى أحد المحررين الصحافيين حديثًا مع الدكتور فؤاد زكريا نشرته إحدى الصحف المصرية يوم ٨ / ١٢ / ١٩٨٨م، وقدم له بإيجاز فقال إنه: "لا ينتمى إلى تيار، ومن الصعب وضعه فى قالب فكرى محدد. فهو فى كل ما يقول ويكتب مفكر مستقل..." إلخ.

ولا ريب أن "المفكر المستقل" أمنية وطنية وقومية نرتجيها جميعًا. لكن موقف الدكتور فؤاد زكريا للأسف الشديد هو على النقيض مما جاء فى تقديم الأستاذ المحرر!! ولقد بين الدكتور فؤاد بوضوح كبير انتماءاته الفكرية الحاسمة منذ الخمسينيات. فهو فى مقالاته ومحاضراته وبحوثه وكتبه يلتزم "اليسار"، ويؤكد اقتناعه بالتفسير المادى الاقتصادى الماركسى للفكر والثقافة والدين والقيم، وينافح بكل قوة عن الاشتراكية "المكتملة النمو" – أى الشيوعية – بوصفها الحل الأمثل لمشكلات مصر والعالم الثالث... ولذلك هو يقاتل كل فكر وكل دين، وكل ثقافة تعادى هذه الانتماءات!! ونحن نحاول فى السطور التالية أن نبين هذه الحقائق، مستندين إلى أقواله، وفى إيجاز أيضًا.

**( ١ ) الانتماء إلى اليسار:**

إن الدكتور فؤاد زكريا يصنف الفلسفات الإنسانية إلى: "فلسفة يمينية" و"فلسفة يسارية"، وهو يصف الفلسفة اليمينية بالتعقيد والعُقم... فهى فى نظره لا تحقق شيئًا، ولا ترتبط بالمشكلات الحقيقية التى تواجهها الجموع الكبيرة من البشر فى حياتها الفعلية، ولا تسهم بأى دور فى تحقيق رغبة الإنسان الدائمة فى تغيير المجتمع المحيط به، والثورة على أى وضع ظالم يجد فيه نفسه... ومن المؤكد أن المذاهب اليسارية – هى وحدها – التى تتصدى لتحقيق هذه الغاية. (١)

---

( ١ ) راجع كتابه: آراء نقدية؛ ص ٢٢٢، ٢٢٥ .



obeikandl.com

ففى الفلسفة اليمينية: التعقيد، والعقم. وفى الفلسفة اليسارية: البساطة، والالتصاق بمشكلات الإنسان، والإسهام فى القضاء على الظلم، والثورة عليه. ومن الواضح أن الإنسان الذى يقول هذا لابد أن يكون يساريًا. وهذا هو انتماء الدكتور فؤاد زكريا، وهو لا ينفيه عن نفسه. بل يعتز بذلك، ويجاهر به فى كل مكان!

**(٢) الانتماء إلى الماركسية:**

ويتأكد الانتماء الأول بالانتماء الثانى إلى "الماركسية"، وهى فلسفة مادية باتفاق الجميع، ومن أهم أصولها الزعم بأن التطور الآلى فى وسائل الإنتاج يفسر سائر مناحى الحياة. فيقول الدكتور فؤاد زكريا: "كل مظاهر التقدم فى حياة الإنسان الحديث – وحين نقول التقدم نعنى الثقافي والمادى منه فى آن واحد – لها ارتباط وثيق بالتطور الآلى فى حياته".[١] ثم يتبع هذا الحكم الكلى بحكم آخر أشد منه تطرفًا فيقول: **"إن كل مشاكل العصر تدور حول هذا المحور الواحد"**.[٢]

وهذه هى وجهة النظر "الأحادية" الضيقة فى صورتها المتطرفة.. فهناك عامل واحد بعينه..هو العامل الأول، والوحيد، المؤثر فى كل ما عداه..هو العامل المادى، الآلى الذى سماه هو "المحور الواحد".. وهذه هى وجهة النظر الماركسية الشهيرة التى يتبناها الدكتور فؤاد!

وتغير شكل الإنتاج هو الذى أدى إلى التحول من النظام الإقطاعي إلى النظام الرأسمالى.

وكان من الطبيعى أن ينعكس تأثير هذه التغيرات الحاسمة على العادات العقلية، والنزعات الفكرية للإنسان فى العصر الرأسمالى.."[٣] فالاقتصاد هو الذى غيّر الفكر والعقل فى العصر الرأسمالى وشكّله!

والدين ذاته يتطور تبعًا لذلك "المحور الواحد". فتغير وسائل الإنتاج غيّر الدين المسيحى.

بل كان لابد للدين أن يتأثر بها، وأن يتلاءم مع الظروف الجديدة التى طرأت

---

(١) راجع كتابه: الإنسان والحضارة، ص ١٢٩

(٢) الموضع نفسه.

(٣) راجع كتابه: الجوانب الفكرية، ص ٢٩.

على حياة الأوربيين. . .وإذن فقد كان لابد أن يحدث انقلاب فى ميدان الدين يوازى الانقلاب في الميدان الاقتصادى والعلمي والفنى".[1] وهو يفسر الإصلاح الدينى لدى "لوثر" على أنه: "من مظاهر حاجة الرأسمالية فى بداية نشأتها إلى عمال يمكن استغلالهم اقتصاديا على أساس من العقيدة".[2]

حتى التعصب، لم يعجبه إلا تفسير الماركسية له!![3]

وبالمثل يفسر نهضة الفلسفة اليونانية على أيدى سقراط وأفلاطون وأرسطو بردها إلى العوامل الاقتصادية. "ومعنى ذلك أن النهضة العقلية والروحية فى اليونان القديمة كانت مرتبطة بالنهوض الاقتصادى الشامل".[4]

وأحسب أن هذا القدر يكفي لبيان انتمائه الثاني بوضوح. .فهو يتابع فروض الفلسفة الماركسية المادية التي أرادت أن تفسر كل شيء برده إلى الاقتصاد، ووسائل الإنتاج. وهو قد حشر نفسه برضاه، بل بحماس شديد داخل القوالب الضيقة الجامدة للماركسية وتفسيرها المادى الاقتصادى الأحادى لكل الظواهر المادية والاجتماعية. فكيف يجوز أن يقال إنه مستقل الفكر، ولا ينتمى إلى تيار، ومن الصعب وضعه فى قالب فكرى؟

**(٣) الانتماء إلى الاشتراكية الشيوعية:**

إذن، ينتمى الدكتور فؤاد بوضوح قاطع إلى الاشتراكية الكاملة. .أى الشيوعية. . وهو يرفض الاشتراكية "المعتدلة" التى طبقها عبد الناصر. وهو بهذا يؤكد انتماءه الأول ثم الثاني ويشرحهما. وفى هذا يقول: "إن حل المشكلات التى أسفرت عنها التطبيقات الاشتراكية فى العالم الثالث، وفى مقدمتها مصر، لن يكون بالالتجاء إلى أنصاف الحلول. بل بمزيد من الإصرار على السير فى الطريق الاشتراكى والتمسك به. وإذا كان من الشائع أن يقال إن الاشتراكية الوحيدة التى تصلح لبلاد العالم الثالث هى "الاشتراكية المعتدلة" فإن حالة التخلف التى تعانيها هذه البلاد تدعونا إلى التفكير مليًا قبل إصدار حكم كهذا. إذ أن "الاعتدال "إذا كان صفة مستحبة فى أمور

---

(١) انظر كتابه: الجوانب الفكرية؛ ص ٧٦، ٧٧.
(٢) نفسه؛ ص ٣٤.
(٣) انظر كتابه: آراء نقدية: ص ٥٤.
(٤) نفسه؛ ص ١٢.

كثيرة فإنه ليس بالشيء المرغوب فيه عندما يكون الأمر متعلقاً بمسيرة المجتمع نحو التقدم ونحو اللحاق بركب الحضارة العالمية" .(١)

فهو لا يوافق على الاشتراكية "المعتدلة" أو أنصاف الحلول! والحل الكامل في نظره هو الاشتراكية غير المعتدلة..أى الشيوعية!! فهى التى تضمن لنا التقدم واللحاق بركب الحضارة العالمية. وهو يتجنب لفظ "الشيوعية" لبشاعة وقعه على أسماع المصريين، ويعمد دائماً إلى استعمال لفظ " الاشتراكية " ، ويعنى بها الشيوعية، وأحياناً يستخدم عبارة "الاشتراكية المكتملة التحقيق" .(٢)

وقد أعلن الدكتور سنة ١٩٧١م أن المرحلة التالية فى تطورنا الاجتماعى: "نريدها أن تكون اشتراكية" .(٣) وقال: "إن الاشتراكية هى فى واقع الأمر نقطة بداية لتطورات هائلة لابد أن تتلوها.(٤) وقال أيضاً: "إن الانتماء إلى الاشتراكية على التحديد قد أثبت فى حالات كثيرة أنه هو الحل الأمثل لمشكلة التخلف بالنسبة إلى هذه المجتمعات" .(٥)

فهل ثمة دليل أوضح وأصرح من كلام الرجل نفسه عن انتمائه الحميم إلى "الاشتراكية المكتملة التحقيق" ، وعدم رضاه عن" الاشتراكية المعتدلة" ، وعن إيمانه الراسخ بأنها هى الحل الأمثل لتخلفنا؟! وهل يبقى بعد هذا أى مجال للتشكيك فى انتمائه وتبعيته للماركسية ونظامها الشيوعى؟! ولماذا ننفى عنه أشياء يحرص هو نفسه على إثباتها لنفسه؟!

وكما أن انتماءات الدكتور فؤاد مؤكدة فإن عداواته الفكرية مؤكدة بالقدر نفسه. فهو يقف فى جانب الرفض الصارم القاطع لكل الفلسفات العقلية والمثالية والدينية التى تقول بوجود أى كائن غير المادة، أو تساند الإيمان بالله من قريب أو بعيد. فهى عنده فلسفة يمينية رجعية..جامدة متحجرة.. لاهوتية عقيم!! (في سلسة طويلة من أمثال هذه الأوصاف الرديئة).

وإعجاب الدكتور فؤاد يستحوذ عليه الفلاسفة الماديون والملاحدة وحدهم، كما

---

(١) آراء نقدية؛ ص ١٥٠ .
(٢) نفسه؛ ص ١٢٣ .
(٣) نفسه؛ ص ٢٤ .
(٤) نفسه؛ ص ١٠١ .
(٥) نفسه؛ ص ١٥٤ .

أن لعناته تنصب على من تسول له نفسه إبداء أى قدر من التعاطف مع الإيمان بالله وبالملائكة والروح.. اللهم إلا الروح الشيوعية التى يتميز بها الكوبيون والفيتناميون والسوفيت!!

### عداءً للإسلاميين لا حبًّا فى الديموقراطيين:

وموقف الدكتور فؤاد زكريا من الحريات والديموقراطية يتغير ويتلون، وينقلب من الضد إلى الضد! فإذا شعر بأن الديموقراطية يمكن أن تتيح للإسلاميين الظهور، هاجمها بضراوة، وأيد الاستبداد والبطش، وفلسف مواقف العسكر، وروج لها فى كتبه ومقالاته!

فعندما أخذ الرئيس السادات يتحدث عن الحريات سنة ١٩٧٢، بعد طرد المجموعة الناصرية الماركسية من رفاق الدكتور فؤاد، حاضر طلابه فى الجامعة مؤيداً النظام الناصرى الشمولى العسكرى، وهاجم النظام الليبرالى الرأسمالى الذى أخذ يطل على مصر من جديد، وقال إن النظام الاشتراكى: "يحاول أن يكفل للإنسان حرية حقيقية، تنبع من الجذور، لا حرية تطفو على السطح. وهو حين لا يترك لشخص واحد أو مجموعة من الأشخاص حرية التحكم فى وسائل الإنتاج (بالتأميم والمصادرة الشيوعية) يضمن بذلك تحرر الجماهير العريضة من طغيان رأس المال ويرسى الأساس الحقيقى لسائر أنواع الحريات".(١)

ثم يشن حملة ضارية على الحريات الليبرالية ويصفها بأبغض الأوصاف فيقول إنها: "مؤذية لمعظم طبقات المجتمع"! وحرية تكوين الأحزاب فى الدول الغربية الكبرى: "أشبه ما تكون بلعبة مسلية تتغير فيها الوجوه دون أن يطرأ على السياسة ذاتها أى تغيير"!(٢)

فهذا موقف واضح تمام الوضوح لكاتب شيوعى مؤيد كل التأييد للنظام الاستبدادى الطاغوتى الذى كان سائداً فى الشرق الشيوعى وفى مصر والدول التى كانت تدور فى فلك الاتحاد السوفيتى البائد.

---

(١) الجوانب الفكرية؛ ص ٥٩.

(٢) نفسه؛ ص ٥٧ - ٥٨ (وانظر كتابى: أساطير المعاصرين؛ نشر دار الحكمة، سنة ١٤٠٩هـ؛ ص ١٠٦ - ١١٣).

وفي يوم ٢٨ / ١٠ / ١٩٩٥ نشرت جريدة الأهرام مقالاً للدكتور فؤاد يطالب فيه بإصدار قانون يحمى الديموقراطية من الإسلاميين الذين يمكن أن يفوزوا بالأغلبية فى الانتخابات البرلمانية التى كانت توشك أن تجرى فى مصر، كما فاز أقرانهم فى الجزائر، ولولا تحالف العسكر مع الغرب الاستعمارى لإسقاطهم، لصارت الجزائر دولة إسلامية بحق! **فهو يخشى "احتمال" استبداد الإسلاميين، لكنه يرحب ويؤيد من كل قلبه استبداد العسكر الاشتراكيين فى العهد الناصرى وفى الجزائر ! فلا اعتبار عنده للحريات، بل العداء للإسلاميين.** فإذا كان النظام ضد الإسلاميين فهو معه، سواء كان استبداديًا أو عسكريًا. وهو ضد أى نظام يهادن الإسلاميين أو يسمح لهم بحرية العمل والتفكير والتجمع. فهو ليبرالى زائف بكل ما فى الكلمة من معنى!

وفى مقاله المشار إليه يطالب بأشياء مستحيلة. منها تأبيد الدستور الحالى خشية تعديله إذا فاز الإسلاميون! ومعروف أن الدساتير فى العالم أجمع يمكن أن تتغير وتتعدل بآلية دستورية معينة. وقد تم تعديل الدساتير الأوربية عشرات المرات، وكذلك الدستور الأمريكى.

وأسخف ما يطالب بتجريمه: "إقحام الدين فى الشعارات الانتخابية". وهذا مطلب مستحيل لأن الشعب المصرى شعب مسلم، والدستور المصرى ينص على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام. وهذا الدستور هو ما يطالب فؤاد زكريا بتأبيده!! وفى غمرة حماسه لهذا القانون - الذى لم يصدر، ولن يصدر، وإذا صدر لن يلق أدنى احترام! - يزعم بأن من يرفع شعارات دينية يدّع أنه "هو ممثل الإسلام"! ولم يحدث قط أن زعم مرشح أنه "يمثل الإسلام"؛ والحاصل أن جماعة الإخوان المسلمين ترفع شعار "الإسلام هو الحل" - يعنى أن تطبيق الإسلام تطبيقًا كاملاً - كفيل بحل المشكلات التى خلّفها النظام الاشتراكى، وهو ما يثير الذعر لدى فؤاد زكريا ورفاقه الشيوعيين والاشتراكيين.

ومن المثير للسخرية أن فؤاد زكريا حاول تسويغ موقفه بالقول إن: "طبيعة المبادئ الدينية لا تناقش ولا تقبل النقد والاعتراض. فإذا سُمح لأحد برفع شعارات دينية، فسوف تتعرض تلك المبادئ للنقد والاعتراض. فهو حريص على المبادئ الدينية أن تظل مصونة، كما أنه حريص على صَوْن الديموقراطية! وتلك آراء تنم عن عجز تام

عن فهم الإسلام! فالمبادئ الدينية نُوقشت، واعترض المخالفون عليها أشد الاعتراضات، وتعرضت للنقد والرفض منذ أن ظهر الإسلام وإلى الآن. وقد سجل القرآن الكريم اعتراضات المشركين العرب بكل أمانة ودقة. من ذلك قولهم الذى أورده القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (سورة ص: ٥) فهم ينكرون مبدأ التوحيد الإسلامى نفسه! وهو المبدأ الذى ينكره الشيوعيون المعاصرون، رفاق الدكتور زكريا فى الداخل وأساتذته فى الخارج! بل هم ينكرون وجود الله – جل جلاله – فى حين أنكر المشركون الجاهليون توحيد الإله وآمنوا بآلهة عديدة، ومن ثمة كانوا خيراً من الشيوعيون والماديين المعاصرين!

و الشيوعيون والعلمانيون عامة ينكرون أن تكون للدين الإسلامى صلة بالحياة البشرية، العقلية والفكرية والتشريعية والأخلاقية. ولم يكفّوا عن الاعتراض على المطالبة بتطبيق الشريعة، ووصف الإسلام بالماضوية والظلامية والتخلف والتحجر، كما سبق أن رأينا فيما أوردناه من آراء زكى نجيب محمود وفؤاد زكريا، وما سوف نورده من آراء غيرهما.

ثم إن نقد المبادئ الدينية لا يضيرها بشيء، وإنما يكشف عن قوتها وسلامتها وعن زيف المبادئ المخالفة لها. فزعم فؤاد زكريا بأنه بقانونه المقترح ييسر للإسلاميين الحفاظ على قدسية مبادئهم هو زعم باطل. نحن نريد أن ننازل المبادئ المخالفة للإسلام فى حوار أكاديمى جاد. لكنهم يفرون من المعركة ويحتمون بالعسكر الانقلابيين الذين يكممون أفواه الإسلاميين، ليخلو الجو الثقافي والتربوى والإعلامى لأمثال فؤاد زكريا وحسن حنفى ومحمود أمين العالم وحسين أحمد أمين ورفعت السعيد وبقية الطغمة الشيوعية والعلمانية. فإذا خففت حكومة ما تلك القيود، وجاءت الانتخابات، وترددت أصوات الإسلاميين فى الأجواء، أصيب فؤاد زكريا وأقرانه بالذعر، وهبوا ينادون بحماية الديموقراطية بقوانين من قبيل قانون الدكتور فؤاد زكريا!!

### موقفه من قضية العفة الجنسية:

إن قضية العفة الجنسية هى إحدى المشكلات الكبرى بيننا وبين أوروبا وأمريكا. وهى مثارة بقوة على المستوى العالمى كما حدث فى مؤتمر بكين، بعد أن "طُرحت فى مؤتمر السكان بالقاهرة. وهناك قوى جبارة تسعى إلى استصدار توصيات تبيح الزنا

واللواط والسحاق، وكل الممارسات الجنسية خارج إطار الزواج. وهنا قد نتساءل: هل ستفرض علينا هذه التوصيات ؟ وكيف؟ وماموقف الدكتور فؤاد من ذلك؟

وجوابًا على هذا السؤال أقول: إن تلك التوصيات لن تفرض علينا بالقوة غداً أو بعد غد، وإنما ستبذل جهود متواصلة لإعداد شعوبنا المسلمة لنبذ العفة الجنسية أولا، ثم يجيء التشريع بعد ذلك ليقنن الواقع. وفى هذه الأثناء، سوف تستخدم الوثائق الدولية، ومنها توصيات بكين، للتنديد بالإسلام، وأخلاقيات العفة، والزواج التقليدى. ولأن أوربا استباحت الزنا منذ أمد بعيد، فإن المعجبين بها من أبناء المسلمين لم يدخروا وسعاً فى نقد العفة الجنسية والشريعة الإسلامية التى تفرضها. وسوف أعرض هنا لآراء الدكتور فؤاد زكريا، وأناقشها بموضوعية، لنرى كيف جرت المحاولات لإعداد جيل من أبنائنا يقبل التخلى عنها، وإحلال "الانفلات" محلها!

ويعيب الدكتور فؤاد زكريا على المجتمع المسلم نظرته إلى الأخلاق التى: "تجعل للسلوك الجنسى مكانة رئيسية! إن هذا السلوك فى نظر الإنسان المسلم – العادى – يكاد يكون مرادفًا للأخلاق. فالأخلاق الصحيحة – تعنى قبل كل شىء – "العفة الجنسية" . وهو يريد من رجل الدين أن يدع قضية العفة جانباً، أو يقلل من اهتمامه بها" . و"أن يتخذ مواقف واضحة فى أمور مثل استغلال النفوذ والمضاربة والتهرب من الضرائب، وجمع الثروات الفاحشة بلا مجهود؛ وهو يسمى هذه الأمور "الجانب الاجتماعى العام" من سلوك الناس" .(١)

ولكن الدكتور فؤاد لم يذكر لنا كيف عرف أن المجتمع المسلم ينظر تلك النظرة إلى السلوك الجنسى!

فهو لم يجر بحثًا علميًّا يؤيد دعواه. ولا نقل عن عالم شيئاً يؤيدها. وكان عليه أن يجرى "استبانة" علمية منهجية أو يستشهد بنتائج "استبانة" أجراها غيره، لكنه لم يفعل!

وعلى هذا يفقد كلامه كل قيمة علمية. ولا يشفع له لقبه العلمى، ولا مركزه الجامعى؛ بل هما يضاعفان من مسؤليته، ويعظمان إدانته!

---

(١) راجع كتابه: الصحوة الإسلامية ، ص ١٤٤ .

إن الدكتور فؤاد زكريا بهذا الكلام الطائش لا يعبر إلا عن هوى نفسه وخصام قلبه لكل ما هو إسلامى، لا عن علم ولا معرفة!

والخطيئة العلمية الثانية فى كلام الدكتور فؤاد هى توهمه أن "المجتمع الإسلامى" هو الذى يقرر نظرته إلى السلوك الجنسى! كأن المجتمع الإسلامى مجتمع علمانى يسير فى نظراته بحسب شهواته! إن المجتمع المسلم، كما يعلم الصغير والكبير، ملتزم بحكم دينه، بنظرة شرعية، إلى السلوك الجنسى وعلاقة الذكر والأنثى بعامة – نظرة يفرضها القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة؛ وليس بوسع المجتمع كله ولا أى فرد من أفراده أن يغير شيئًا فى هذه النظرة. فالزواج بشروطه الشرعية هو الطريق الوحيد لاتصال الرجال والنساء؛ والقرآن هو الذى حرّم النظرة، وأمر بغض البصر.

والنبى الكريم ﷺ هو الذى نهى عن الخلوة بين الرجل والمرأة الغريبة، وهو الذى نهى عن الاختلاط السائب، وشرع الإسلام شرائع لزينة النساء وملابسهن؛ إلى آخر ما هو معروف من هذه الشرائع العظيمة الثابتة.

وهذا الثبات المطلق لشرائع الإسلام هو الذى حاول الدكتور فؤاد أن ينكره ناقلاً – دون تحوير – كلام المستشرق المشهور "جرينباوم" الذى زعم أن الإسلام يمكن أن "يساير أى نظام، وأن يتشكل بحسب رغبة المجتمع، أو شهوة الحاكم"! وهنا نواجه جانبًا من شريعتنا الخالدة، يُظهر بكل وضوح سقوط هذا النقد المجهول الذى تقيأه مستشرق موتور، وردده الدكتور فؤاد دون وعى أو تمحيص، ظانًا أنه به يوجه نقدًا للإسلام لا نقض له! فهو كلام مستشرق كبير، هو عند الدكتور فؤاد فوق الخطأ والنقد؟!

ثم وجه الدكتور فؤاد علماء الإسلام الوجهة الاجتماعية الصائبة التى يرى هو أنها أجدر من أخلاقيات العفة بالاهتمام! وهى أمور اقتصادية، ومظاهر فساد فى المجتمع العلمانى، ويبدو أن الدكتور فؤاد يجهل شريعة الإسلام وأخلاقياته التى توجه العلماء والتى تُدين غصب الأموال وسرقتها، بالمخاتلة، أو بالقوة أو التأميم والمصادرة الظالمة. ولو عرف حرص الإسلام على تنقية الأموال من الحرام، وإنفاقها فى الحلال لانعقد لسانه دهشة! وليس هذا فحسب، وإنما هناك الواجبات الإيجابية التى تفرض ضروبًا من البذل والعطاء والتضحية للقضاء على كل مظاهر العوز والحاجة !

وأخلاق الإسلام كلها تقوم على العطاء بلا مقابل ولا يجوز وصف عمل بأنه أخلاقى إلا إذا اتسم بهذه الخاصية الجوهرية (أعنى أن يكون نوعاً من العطاء بلا مقابل).

وما العفة الجنسية إلا فضيلة "سالبة"، أو هى فضيلة صيانة للنفس وكف للشهوات؛ وموقعها على سلم القيم الأخلاقية متواضع جداً. وهذه المبادئ هى التى تحدد واجبات العلماء لا الدكتور فؤاد!

إن الدكتور فؤاد كاتب ماركسى، آمن بالشيوعية، ودعا إلى الاشتراكية على مضض، فى العهد الاشتراكى، على أمل أن تتطور الأمور إلى إعلان الشيوعية فى مصر. وهل مصر أقل من اليمن الجنوبى – وقتها – الذى طبق الشيوعية فى الجزيرة العربية مهد الإسلام وقاعدته الأساسية؟ لكن الأمور سارت فى وجهة لم يكن يشتهيها، فاندثرت الشيوعية، وطمست معالمها، حتى فى الصين التى مازالت تتمسك نظريًا بالشيوعية، وتطبق الرأسمالية فى الواقع. وانتهت الشيوعية فى اليمن إلى مصير أليم.

ولهذا كان الدكتور فؤاد حريصًا جدًا على حقوق "البروليتاريا" !وعلى التصدى للمستغلين من أصحاب الأعمال؛ ويريد من علماء الإسلام أن يُدينوهم بالقوة نفسها التى يُدينون بها الزناة، وأن يكافحوا التاجر الذى يُضارب فى أقوات الناس بقوة لا تقل عن مكافحتهم لملابس المرأة القصيرة.(١)

ولا ريب أن من واجب العلماء أن يدينوا المظالم الاجتماعية كلها وأن يقاوموها؛ فالظلم محرم تحريمًا باتًا فى الإسلام، ولا يجوز اقترافه فى أية ظروف استثنائية؛ والعلماء مطالبون بمقاومته وإدانته؛ وهم يقومون بهذا الواجب كل بحسب إمكاناته، ولا يمكن أن ننكر دورهم الفعّال فى إقامة العدل الذى أرسل الله تعالى رسله لإقامته.

وفى ذلك يقول جل جلاله: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾ (الحديد: ٢٥). وتقصير بعضهم فى هذا الواجب

---

(١) انظر كتابه: الصحوة الإسلامية: ص ١٤٥.

خطأ؛ لكنه لا يسوغ إنكار جهادهم التاريخى، فى كل العصور، ضد الظلمة والفاسدين. والإسلام هو الذى يوجب عليهم ذلك، لا كلمات الدكتور فؤاد.

أما شدة إدانة الزنا، وإدانة كل انتهاك للتدابير الوقائية ضده، فترجع أساسًا إلى شدة إدانة الكتاب والسنة له؛ وهذا هو ما يبدو أن الدكتور فؤاد يجهله كلية. وبالإضافة إلى ذلك، اشتدت إدانة المسلمين للزنا فى مواجهة استباحة العلمانيين له، ودعوتهم المتواصلة لتهديم التدابير الوقائية كالاحتشام، وتحريم الخلوة؛ ولقد بلغت استباحتهم حد الفجور حين أعلن الدكتور حسن حنفى، توأم الدكتور فؤاد، أنه يحسد الأوربيين على ما عندهم من الحريات الجنسية! هذه الاستباحة أشعلت المقاومة الإسلامية، صيانة للمجتمع من التردى فى مهاوى الاستباحة، كما حدث فى أوربا وأمريكا؛ وصيانة للأمة من نتائج الاستباحة التى يجأر الأوربيون والأمريكيون بالشكوى منها؛ فهى التى نشرت "الإيدز" (طاعون العصر). وهى التى فرّخت الملايين من أبناء السفاح؛ ومن هؤلاء خرج الألوف من عتاة المجرمين! وهذه الاستباحة هى التى تهدد مكانة أمريكا القيادية فى العالم اليوم، كما يبين ذلك بوضوح "برجنسكى" مستشار الأمن القومى للرئيس الأمريكى الأسبق فى كتابه "الانفلات".

هذه الحقائق الثابتة تبدو غائبة عن الدكتور فؤاد، وتوأمه حسن حنفى، حين كتبا عن العفة الجنسية. فيقول الدكتور فؤاد – مثلاً –: "إن الجنس بطبيعته فردى، لا يؤثر إلا فى فرد بعينه من حيث علاقته بفرد آخر، أو بمجموعة ضيقة من الأفراد".(١) وهذا الكلام خطأ جسيم ويكفى أن نتذكر أن أعداد أبناء السفاح تصاعدت فى المجتمعات المتحللة من قواعد الزواج والعفة، حتى بلغت أكثر من خمسين فى المائة من المواليد!! وهؤلاء الأولاد البؤساء يحرمون من حياة الأسرة الحاضنة الطبيعية، ومن دفء العواطف الأبوية، وربما من عواطف الأمومة أيضاً، حين تقذف الأم بوليدها فى مؤسسة ما لرعايته. فمعظم حقوق الطفل تقريبًا يحرم منها أولئك المنكوبون. ويكفى أن نتذكر أن العلاقات الإباحية هى السبب فى انتشار مرض الإيدز بنسبة ٨٣٪! أفبعد هذا يمكن أن نقبل زعماً يقول إن الجنس بطبيعته فردى لا يؤثر إلا فى فرد كما قال الدكتور فؤاد؟!

---

(١) راجع كتابه: آراء نقدية؛ ص ١٧٧.



obeikandl.com

إن شدة إدانة الإسلام للزنا بوصفه فاحشة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢) معجزة إسلامية بحق، وشدة العلماء في مقاومته واجب وفرض، خصوصاً في مواجهة العلمانيين الذين يروجون للاستباحة الجنسية الانحلالية، والعلماء المسلمون يقدمون لشعوبنا المسلمة - عملاً وفلاحين وأصحاب أعمال ومهنيين وحكاماً - أعظم خدمة، وحماية، وصيانة، ضد الفحشاء وسبيلها السيئ، ونتائجها المدمرة. وهذا للأسف لم يخطر ببال الدكتور فؤاد، حين تناول قضية العفة الجنسية في المجتمع المسلم من وجهة نظره العلمانية.

وأما الحرص على حقوق الطبقة العاملة فشأننا نحن المسلمين لا شأن الشيوعيين الذين أذاقوا الطبقات العاملة أقسى مرارات الحرمان والظلم والبطش والكبت، حتى انهارت مجتمعاتهم فوق رؤوسهم. وكان حظ الأموات الذاهبين خيراً من حظ الأحياء الباقين.

كيف يفسر الدكتور فؤاد اهتمام المسلمين بالعفة الجنسية؟

إنه ينتقد هذا الاهتمام، كما ذكرنا، ويرفض شريعة الحجاب، وشريعة منع الخلوة، وفصل الطلبة عن الطالبات في المدارس والجامعات، ويقرر أن الاهتمام بهذه: "الأمور الشكلية" أمر غير مفهوم.(١) ثم يفسر الموقف الإسلامي بقوله: "من المؤكد أن أي محلل نفساني قادر على أن يكتشف الكثير من العقد وراء هذا التصور المبالغ فيه لدور الجنس في حياة الإنسان".(٢)

فالرجل لا يفهم لماذا الحجاب، لأنه لم يعلم أن القرآن الكريم يفرضه بقول الله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور: ٣١) ويجهل أن رسول الله ﷺ قد نهى عن خلوة المرأة المسلمة بأي رجل أجنبي عنها، أي ليس بمحرم، في أكثر من حديث صحيح. ولو علم بهذه الشرائع الإسلامية، لما قال إنها غير مفهومة، أو أنها أمور شكلية. ولكن نعيد هنا ما ذكرناه عن أهمية وحيوية العفة

---

(١) الصحوة الإسلامية، ص ٢٠٠.

(٢) نفسه، ص ٢٠١.

الجنسية، وكل التدابير الوقائية التى شرعها الإسلام حتى لا يقترب المسلم من الزنا مجرد اقتراب.

غير أن وصفه للشريعة الإسلامية بأنها تعبير عن "عقد نفسية" يستحق وقفة متأنية. وأول ما نلاحظه فى كلام الدكتور فؤاد هو نزعته غير العلمية إلى التوكيد والقطع فى أحكام لا تحتمل ذلك. فهو يبدأ جملته بقوله: "من المؤكد"! وماذا يؤكد؟.. إنه يؤكد احتمال أن أى محلل نفسانى قادر على أن يكشف الكثير من "العقد"! فهو نفسه لم يكشف شيئًا، ولم يبحث فى شىء، ولا هو وصل إلى ظن ولا يقين. وهو لم يلجأ إلى محلل نفسانى، ولم يقتبس رأى محلل نفسانى فى المسألة. فما الذى يؤكده إذن؟! لا شىء فى الحقيقة سوى هوى فى نفسه وتحيزاته غير العلمية.

ومصطلح "العقد" مصطلح نفسانى، و الدكتور فؤاد يوهم القارئ أنه يستخدمه فى موضعه الصحيح، فى حين أنه يستعمله استعمالاً طائشًا، كاستعمال العوام! إن لفظ "عقدة" هو من مخلفات "فرويد" ومدرسته السيكولوجية، مدرسة التحليل النفسى. وقد كان "فرويد" يستعمله فى وصف المرض النفسى لمريض فرد ولم ينتقل به من المستوى الفردى إلى مجالات العلوم الاجتماعية لتطبيقه على المستوى الجمعى. لكن الدكتور فؤاد يعتبر الأمة المسلمة المتدينة شخصًا عُصابيًا واحداً، كأى مريض عُصابى فى عيادة "فرويد" ويطبق عليها مصطلح "العقدة" السيكولوجى. وليس لدى الدكتور فؤاد أية مسوغات لهذا العمل، فليس هناك عالم نفسى فعل هذا، ولا هو قدم المسوغات العلمية التى تُبيح له ذلك، لذلك قلت إنه استخدام "عامى" للمصطلح، يريد لأمتنا المسلمة أن ترقد على "كنبة" فرويد البالية!

وقد يقال إن الدكتور فؤاد أراد بذلك شرح كيفية ظهور هذه الشريعة التى تبالغ فى تقدير دور الجنس، حسب زعمه.

و قد يقال إنه يقصد أن رسول الله ﷺ (الفرد) هو الذى وضع الشريعة. وهو الذى ألف القرآن، وأن الاتهامات بـ"العقد" موجهة إليه ﷺ. والحق أن كلام فؤاد زكريا فى مجموع كتاباته يشهد "بإمكان" هذا التفسير المنكر للنبوة، وللدين تبعاً لذلك. لكن يظل كلامه المحدد الذى اقتبسناه عنه بخصوص العفة الجنسية قاصراً عن

أن "يؤكد" هذا أو يرجحه، وبوسعه أن ينكر هذا التفسير، وعندئذ لابد أن يتحمل تبعة التفسير الأول، أعنى النقل غير العلمى لمصطلح "العقد" من المستوى الفردى السيكولوجى، إلى المستوى الجمعى. وتلك خطيئة كبرى من أستاذ كبير كان ذات يوم رئيسًا لقسم الفلسفة بجامعة عين شمس، ومستشاراً ثقافيًا لدولة الكويت، وحاملاً لقب "المفكر العربى"!

ولقد حاول فؤاد زكريا فى كتابه عن الصحوة الإسلامية مرة أخرى أن يفسر موقف الإسلام من العفة الجنسية فرده إلى: "ازدواجية الحرمان من الجنس الآخر، وتحريمه؛ والرغبة العارمة فى الجنس مستترة وراء قناع من "العفة المتطرفة"، ووصف نظرات المسلمين إلى النساء بأنها "نظرات جائعة" فى أغلب الأحيان، والحجاب يُضفى على المرأة ضمانة ترضى غرور الرجل الشرقى، وتهدئ مخاوفه الدائمة وعدم ثقته الأزلية فى الجنس الآخر".(١)

وكلام الدكتور فؤاد زكريا هنا هو مجرد تعبير عن آرائه هو، أعنى أنه ليس تفسيراً علميًا يستند إلى منهج بحثى معترف به، أو إلى تجارب، أو إحصاءات أو "استبيانات". ولذلك يعجز عن مساندته عجزاً مُشينًا إذا قلنا له - مثلاً - أين الدليل؟! **فلا دليل لديه من أى نوع؛ ولا وثاقة لكلامه، ولا قيمة تبعًا لذلك. وهذه دون ريب كارثة علمية، لأن فؤاد زكريا ليس كاتبًا مبتدئاً، ولا هو طالب فى مرحلة الماجستير أو الدكتوراه حتى يرتكب هذه الخطيئة!**

وعلى الرغم من هذا سوف أحاول أن أبين فى إيجاز مقدار الخطأ فى آرائه. فالمسلمون لا يعانون من الحرمان الجنسى، ولا يحرمون الجنس لا على مستوى المرجعية ولا على مستوى الواقع. والقرآن الكريم يحث على الزواج، ويبيح تعدد الزوجات وكذلك فعل النبى الكريم ﷺ.

## أخطاء علمية وانحرافات فكرية:

قرر الدكتور فؤاد زكريا أن لدى المسلمين رغبة جنسية عارمة، ليست لدى سواهم من البشر، دون أن يقدم أى دليل من أى نوع على صحة هذا الزعم. وما كان

---

(١) الصحوة الإسلامية؛ ص ٢٢.



obeikandl.com

له بحال أن يجد دليلاً، والرغبة الجنسية فطرة عامة بين البشر، والمسلمون العرب والأتراك والهنود بشر من البشر، لديهم الرغبة الجنسية كما لدى غيرهم. وهذه بدهية لا يسع أحد أن يناطحها مهما أوتى من قدرة على المراوغة والمغالطة والتضليل.

والإسلام يعتبر قوة الرغبة الجنسية فتوة، ودليل كمال فى الخلقة، لا دليل خلل أو نقص أو عيب. وقد كان النبى الكريمﷺ كامل الخلقة والخُلق، وكان يتمتع بقوة جنسية فائقة، وقد قالها صريحة واضحة: "حُبب إلى من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء، وجُعلت قرة عينى فى الصلاة" (أخرجه النسائى وأحمد).

**إن حديث الأستاذ عن "الرغبة العارمة فى الجنس"، وعن "النظرات الجائعة" باعتبارها خصيصة للمسلمين دون سواهم هو إذن حديث خرافة.** إنه يتحدث عن المجتمع الراهن حيث تخرج المرأة شبه عارية، وحيث لا يجد الشباب سبيلاً للزواج، وحيث يعانى بعض الشباب - فى شرائح معينة من المجتمع - من الحرمان، ويتورطون - من ثم - فى النظر إلى النساء، وليس هذا هو المجتمع الإسلامى الملتزم بالشريعة التزامًا كاملاً شاملاً، بل هو المجتمع العلمانى الذى يحاول أن يتستر على عوراته بأوراق توت إسلامية. وبذلك يشكل نماذج شائهة مضطربة، منقسمة على نفسها، من المجتمعات.

ويظن الدكتور فؤاد زكريا أن الرجل الشرقى المغرور، الشكاك هو الذى فرض الحجاب على النساء، ومضمون كلامه يدل على أن الرجل الغربى، الأوربى، هو المثل الأعلى الذى يجب احتذاؤه، إنه الرجل الذى يرى أمه أو أخته أو زوجته تمارس الزنا أو البغاء ولا يثور، ولا يلوم! والمجتمع الأوربى هو المثالى بحق، ففيه - مثلاً - ٤٩٪ من الزوجات الألمانيات يخن أزواجهن، وفيه أيضًا ٩٨٪ من نساء كندا يتعرضن للاغتصاب. (ولم ينظر إليهن الرجال الأوربيون المهذبون الذين اغتصبوهن نظرات جائعات مثل المسلمين الأشرار!) وفيه زادت معدلات الاغتصاب ٥٩٪ سنة١٩٩١ فى أمريكا. وللعلم، هذه كلها إحصائيات رسمية، لا مجرد آراء وتحيزات، كما هى الحال فى كتابات الدكتور فؤاد زكريا، أما فى مجتمعاتنا الإسلامية الملتزمة جزئيًا فقط فالخيانة شذوذ، والاغتصاب استثناء، والبغاء محرم والزنا جريمة.

**الإسلام لا يدعو إلى الحرمان الجنسي:**

وفي تفسير ثالث لاهتمام المسلمين بصون العفة كفضيلة أخلاقية مهمة، قال الدكتور فؤاد زكريا إنه يرجع إلى: "قسوة الحرمان، وصرامة القيود التي يفرضها المجتمع الشرقي" وهذا تكرار لما سبق من أخطائه، فلا حرمان من الإشباع الجنسي في الإسلام، ولا تبتل ولا رهبنة. والزواج، في المجتمع المسلم الذي يطبق شريعة الله تطبيقًا كاملاً شاملا، ميسور للغني والفقير. وكلام الأستاذ هنا لا يصح إلا على بعض شرائح من المجتمع المصري الراهن، الذي هو "هجين" مركب، متنافر من عناصر إسلامية وعناصر أوروبية، الأمر الذي أدى إلى تأخير الزواج إلى سن الثلاثين وما بعد الثلاثين لنسبة كبيرة من الرجال والنساء. وكانت مشكلات الإسكان، وتدني مستوى المعيشة هي الأسباب الأساسية لذلك؛ ولا دخل لشرائع الزواج وأخلاقيات العفة وتقاليد المجتمع الشرقي في ذلك؛ بل إن تأخير الزواج يتنافى مع هذه الشرائع والأخلاقيات والتقاليد. وهكذا نرى أن النظم العلمانية، والاشتراكية خاصة، التي طبقت في بلادنا، هي سبب مظاهر الحرمان من الزواج التي أراد فؤاد زكريا أن يلصقها بالمجتمع المسلم ظلماً وبهتاناً. وأما القيود التي أشار إليها فهي قيود على الزنا، لا على الإشباع الجنسي المشروع، وهي ليست قيداً، بل تدابير وقائية تفتح كل الأبواب للإشباع الحلال وتغلق كل الأبواب في وجه الفحشاء. وهذا هو ما يغيظ العلمانيين الذين يحسدون الأوربيين على ما عندهم من استباحة جنسية، ويحاولون استيرادها لبلادنا المسلمة، بعد تحطيم شرائع الزواج وأخلاقيات الشرف والطهارة.

ونلاحظ مرة أخرى أن فؤاد زكريا يجهل، أو يتجاهل أن "القيود" على الفحشاء هي من إملاء الكتاب والسنة، لا من فرض المجتمع الشرقي، اللهم إلا أن يكون قصده أن القرآن والسنة من إملاء المجتمع الجاهلي - أو بصراحة تامة، وكما ذكرنا سلفًا - أن النبي الكريم ﷺ هو الذي ألف القرآن! وتلك فرية رددها الجاهليون العرب وقالوا - كما سجل القرآن الكريم -: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (المدثر:٢٥) ثم زخرفها المستشرقون بحواشي من علم النفس الحديث، وعلم الاجتماع والإنسان، ثم رددها العلمانيون وراءهم كالببغاوات.

ونمضي مع تفسيرات الدكتور فؤاد زكريا فنجده يقرر أن شرائع الزواج والعفة،

الصارمة، تعبر عن شدة حب المسلمين للجنس؛ "ومن المعروف أن الإنسان كثيراً ما يميل إلى تحريم أحب الأشياء إلى نفسه، أو على الأقل فرض قيود شديدة عليها" ويقول: "وكثير من المتزمتين لا يبدون هذه الصرامة إلا لأنهم محرومون، بحيث تكون قسوتهم وصرامتهم مجرد مظهر سلبى للرغبة العارمة فى ارتكاب كل ما يحرمونه على الغير".(١)

ومرة أخرى، نقابل الخرافة التى يروج لها فؤاد زكريا، والتى تقول إن المسلمين من العرب والأتراك والأمريكيين والأوربيين، يحبون الجنس أكثر من مواطنيهم غير المسلمين، من اليهود والنصارى والبوذيين والملاحدة! و فؤاد زكريا يزعم أن هذه الخرافة "من المعروف"! ولم يقل لنا إنها معروفة فى علم معين كعلوم الإنسان، أو الطب أو علوم الحياة، أو غيرها. **فهى إذن خرافة معروفة لفؤاد زكريا وحده، وأما العلم والعلماء، وأما الثقافة والمثقفون، فيعرفون أن الجنس غريزة بشرية، يستوى فيها الناس من كل جنس ودين، مع اختلافات بين الأفراد. وكما قلنا من قبل إن قوتها لدى فرد دليل سلامة وصحة وكمال.**

وبعد هذه الخرافة تأتى أختها، وتستند إليها. فنظراً لحب المسلمين الشديد للجنس، كان تحريمهم الشديد له على أنفسهم، لأن الإنسان يميل إلى تحريم أحب الأشياء إلى نفسه! والرجل هنا يغالط نفسه، فالمسلمون لا يحرمون إلا الجنس الحرام، أى الفحشاء بكل ضروبها، أما الجنس الحلال فيحثون على ممارسته من خلال الزواج، ويبيح الإسلام تعدد الزوجات، وييسر الزواج، ثم إن التحريم والتحليل لله تعالى، لا للإنسان، إلا أن يكون فؤاد زكريا كافراً بالنبوة، كما سبق أن أشرنا، والعبارات تتوالى فى كتاباته لترجح ذلك.

ولم يبقَ فى كلامه جديد اللهم إلا توهمه الخيالى العجيب أن بعض المسلمين محرومون من الجنس، ولديهم رغبة عارمة فيه، وفى ارتكاب الفحشاء التى يحرمونها على غيرهم! فها هنا خلط فظيع. فمن يا ترى أولئك المحرومون من الجنس من المسلمين؟ ولماذا؟ أهو حرمان بسبب التبتل والرهبنة، أو الفقر؟ وكيف لمثل هؤلاء المحرومين أن يحرموا "الجنس" الذى أحله الله تعالى؟! إننا هنا بإزاء كائنات خرافية

---

(١) آراء نقدية؛ ص ١٧٦ .

كالغول والعنقاء، كأن الرجل يؤلف حدوتة أو أسطورة أو كأنه أسير لثورة من الغضب عاتية ملكت عليه قواه الفكرية، فراح يتوهم هذه المخلوقات! ولقد يرجع ذلك إلى المرارات التى تملأ أفواه العلمانيين من فشل جهودهم على امتداد مائتى عام لطمس شخصية مصر الإسلامية، وإحلال الثقافة العلمانية محل الثقافة الإسلامية. ويضاف إلى ذلك فشل الشيوعية بالنسبة للدكتور فؤاد زكريا وتبديد أمله فى نشرها فى مصر، "شاءت الأمة المسلمة أم أبت"! الأمر الذى بدد معظم جهوده وكتاباته واضطره إلى أن يلتحق بالمعسكر الليبرالى الأمريكى الذى طالما هاجمه وشنع عليه وتنبأ باندحاره واندثاره؛ وذلك عبء نفسى مهول تنوء به الجبال.

**وهكذا وجدنا نقده للعفة الإسلامية خليطًا من الأخطاء والأوهام والخرافات التى لا تنتسب إلى النقد ولا إلى العلم بأية وشائج.**

**موقفه من المعجزات:**

ثم ننتقل إلى موقفه من المعجزات، فنسأل: هل الإيمان بالله تعالى الخالق المدبر يتعارض مع مبدأ السببية الذى يحكم الظواهر الطبيعية والاجتماعية ؟ وهل الإيمان بأن الله تعالى أعطى الأنبياء معجزات خارقة لمبدأ السببية، هو تفكير أُسطورى؟ وهل الإعلام الغربى لا يهاجم الإسلام إلا لأنه يعلِّم المسلمين عدم الثقة فى مبدأ السببية. وإذا نحن تبنا ورجعنا إلى الإيمان المطلق بالسببية، هل سيكف الإعلام الغربى عن مهاجمتنا؟

هذه الأسئلة يثيرها الدكتور فؤاد زكريا فى رسالته التى نشرها "رجب البنا" ضمن مقاله فى الأهرام يوم ٣٠ / ١ / ١٩٩٤ عن "الإسلام والإعلام". وكنت أتمنى أن يكون كلام الدكتور فؤاد زكريا أكثر وضوحاً وتحديداً، ولكنه للأسف أطلق كلامه وجزأه، لكى يفلت من النقد! وهذا الأسلوب تعلمه من الفيلسوف اليهودى المرتد "اسبينوزا" وهو أسلوب المراوغة فى طرح الأفكار المضادة لعقيدة المجتمع! ومن المؤسف أن جريدة الأهرام ترفض نشر التعقيبات على مقالات كبار الكتاب العلمانيين لكي يستقر التشكيك فى عقول القراء، ويظل الكاتب العلمانى فى نظرهم مصدراً للحقائق العلمية التى تعلو على كل نقد، وتبرأ من كل خطأ. والحق أن كلام الدكتور

فؤاد زكريا فى المسائل الإسلامية عامر بالأخطاء؛ وهذه الرسالة نموذج لكتاباته حول الإسلام وقضاياه، وصدق المثل القائل: قتلت أرض جاهلها!

فليس فى العقائد الإسلامية أى تشكيك فى مبدأ السببية. والقرآن الكريم يؤكد وجود القوانين، أو "السنن" الحاكمة للظواهر الاجتماعية، وليس الطبيعية فقط، وذلك هو تدبير العليم الحكيم، وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى فى شأن ظاهرة الصدام بين كل دين جديد وبين أنصار القديم من المشركين والمنافقين: ﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** ﴾ (الأحزاب:٦٢) فتلك ظاهرة اجتماعية إنسانية ولها قانون ينظمها. وكما انتصر التوحيد من قبل سوف ينتصر دائمًا، ولن يتبدل القانون، لأنه مطرد وصارم.

ويستنكر القرآن الكريم موقف المشركين الذين ظنوا أن من الممكن أن تتبدل قوانين الاجتماع الإنسانى فينتصر شركهم على التوحيد فيقول جل شأنه: ﴿ **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** ﴾(فاطر:٤٣).

ولولا هذه الآيات الواضحات الحاسمات التى تقرر بكل وضوح خضوع الظواهر الاجتماعية لسنن الله المطردة، لما استطاع ابن خلدون أن ينشئ "علم العمران" أو "علم الاجتماع". ولقد كرر الآيات السابقة ثلاث عشرة مرة فى مقدمته! الأمر الذى يقطع قطعًا لا مدخل فيه لأية شكوك بأنه نقل نقلاً فكرة قانونية الظواهر الاجتماعية عن القرآن الكريم. وفضلاً عن ذلك اقتبس ابن خلدون قانون قيام الدول، وقوانين التجمع البشرى وكذلك قوانين انهيار المجتمعات، من القرآن الكريم، فكيف يزعم الدكتور فؤاد زكريا أن هناك عدم ثقة فى مبدأ السببية فى الإسلام أو عند المسلمين؟

ووقوع المعجزات والخوارق على أيدى الأنبياء لا يمس مبدأ السببية. فالمعجزات ليست نظامًا بل هى استثناءات يجريها الخالق المدبر على أيدى الأنبياء كأدلة على صدقهم، والنبى الكريم ﷺ الذى أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فى معجزة خارقة للسببية، لم يسافر بعدها إلا على جمل أو حصان، أو سيرًا على الأقدام،

وكان يسعى كما يسعى سائر خلق الله لكسب الرزق، وكان يقاتل بيده، وبجنوده، ويسأل الله النصر فيمده بالملائكة، ولم يجلس فى بيته ويسأل الله أن يرزقه عن طريق الخوارق. وقد طلب إليه المشركون أن يفجر لهم ينابيع فى مكة، أو يكون له بيت من ذهب، أو يُلقي إليه كنز عن طريق الخوارق، فعلمه ربه أن: ﴿ **قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً** ﴾ (الإسراء: ٩٣).

ومن جهة أخرى، السببية لا تنفى إيمان المسلمين بالمشيئة الإلهية المطلقة، فالله تعالى هو الذى خلق الوجود كله وهو الذى يدبره، وهو الذى أراد له أن يسير بحسب سنن، وهو الذى أراد خرق تلك السنن فى حالات معينة ولحظات محددة، وهو الذى يقدر الأرزاق والآجال وكل ما يصيب الإنسان من خير أو شر. وهذا كله لا يتعارض بحال من الأحوال مع إيمان المسلمين بالسببية واحترامهم لها، ولذلك نشأ العلم التجريبى والمنهج التجريبى فى أحضانهم.

ونحن نعلم يقينًا أن الإعلام الغربى لن يكف عن هجماته على الإسلام والمسلمين إلا إذا تركوا الإسلام واعتنقوا الفلسفة المادية الملحدة، وتبعًا لذلك يفقدون استقلالهم الفكرى وهويتهم المتميزة، ويصبحون ذيولاً للغرب، تابعين خانعين له كالهنود الحمر! وبذلك يستمر استغلال الغرب لنا ماديًا، وتتواصل هيمنته على بلادنا إلى أجل غير مسمى. هذه هى الحقائق، وتلك هى الافتراءات، وللناس عقول تفهم وتدرك وتقدر، وتميز بين الحقائق والافتراءات.

**أسلوبه فى الحوار:**

وبعد هذا كله أتساءل: ماذا يعرف الناس عن الدكتور فؤاد زكريا وأسلوبه فى الحوار وطريقته فى الجدال؟

من المفيد أن نجيب على هذا السؤال من خلال دراسة كتبه ومقالاته. ولسوف يفاجأ القراء، حين يعلمون حقيقة الرجل. ولسوف يدهشون حين يرون أن كتابات الدكتور فؤاد زكريا بصفة عامة سلسلة من الأخطاء والأحكام السابقة، والمجازفات!

إننا إذا فحصنا "منهجه" واجهتنا منذ البداية، مناقص عديدة، لا يتصور أن يتعاطاها أستاذ فى الفلسفة. **وأول تلك المناقص، وإن لم تكن أخطرها أو أهمها، البناء على مقدمات باطلة.**

وتبعًا لذلك تجىء النتائج وقد اخترمها البطلان من أساسها ذاته!

خذ مثلاً: حديثه عن شخصيتنا المصرية. إنه يقرر أن "سمة الحزن من السمات المميزة للشخصية الشعبية"، ثم إنه يصف تقريره هذا بأنه "حقيقة علمية".(١)

فما هى المقدمة التى بنى عليها تقريره، أو "حقيقته العلمية"؟

إنها مقدمة تقول إن: "ألحان الناى حزينة. والناى آلة موسيقية مصرية شعبية، فلابد أن تتسم الشخصية المصرية بطابع الحزن بتأثير الناى وألحانه الحزينة!

ولكن، هل ألحان الناى حزينة حقًا، ودائمًا؟ ألا يؤدى الناى ألحانًا مرحة، مبهجة، راقصة؟ وهل الناى هو الآلة الموسيقية الوحيدة المنتشرة بين الشعب؟

فالباطل اخترم مقدمته من ناحيتين:

**الأولى**: افتراضه الوهمى أن كل ألحان الناى حزينة، وهى ليست كذلك.

**الثانية**: تغافله عن تعدد الآلات الموسيقية الشعبية فى مصر.

ويقول الموسيقيون من أهل الصناعة أن الموسيقى المصرية الشعبية، وهى موسيقى عربية شرقية، يغلب عليها الطابع اللحنى، والإيقاع، وهى تُعزف فى الأفراح والأعياد والمناسبات السعيدة. فهل تُعزف الألحان الحزينة فى هذه المناسبات؟ وهل الضجيج العنيف الذى نسمعه فى أفراحنا وأعيادنا يعبر عن سمة حزينة فى شخصيتنا؟! ومتى يحب المصرى من أبناء الشعب أن يستمع إلى الموسيقى والغناء؟

أيحبها فى الجنائز والمآتم؟! وهل عندنا موسيقى جنائزية شعبية فى مصر؟! وما السمات القومية الأخرى التى يمكن أن يثبتها الدكتور فؤاد زكريا استناداً إلى: الطبل البلدى والنقرزان والمزمار والأرغول والربابة؟! لماذا اكتفى بالناى دون سائر الآلات الشعبية؟!

أسئلة كثيرة لابد أن تثور، ولكن فؤاد زكريا الذي لا يحترم المنطق ولا يعرف المنهج، غض طرفه عنها، لكى ينتهى بنا (من مقدمته الباطلة) إلى نتيجته الزائفة، التى يسميها "حقيقة علمية"!!

---

(١) آراء نقدية: ص ١٦٦-١٦٧.

وهناك مثال آخر، لمقدمة باطلة أخرى، شيد فوقها نتيجة خاطئة.

فيقول أستاذ الفلسفة: "إن التفاخر بالأصل والحسب صفة مميزة لشعوب هذه المنطقة من العالم". أى العالم العربى والإسلامى.(١)

ولا أحد ينكر شيوع عادة التفاخر بالأصل والحسب. ولكننا ننكر أنه يشكل خاصية مميزة للشخصية العربية أو الإسلامية. إن التفاخر نقيصة خلقية، أدانها القرآن الكريم، وأدانتها السنة النبوية، إنها كتعاطى الحشيش، فهل تدخين الحشيش يسوغ القول بأنه خاصية مميزة لشعوب العالم العربى؟!

إن شخصيتنا السوية تُدين التفاخر بالأصل والحسب ونعده من آثار الجاهلية. وكتاب ربنا يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. ورسولنا ﷺ يقول: "لَيَدَعُنَّ قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحماً فى جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان (الجعارين) التى تدفع بآنافها القذر". والقرآن الكريم يدين الفخر إدانة منكرة فى آيات عديدات، كقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ وقد تحقق مثلنا الأعلى القرآنى هذا فى الواقع العينى المشهود، وتمثل (بوضوح باهر عبر تاريخنا كله) فى شخصيتنا الإسلامية. وهو الذى رفع بلالاً العبد الحبشى فوق أبى سفيان بن حرب "القرشى"، سيد كنانة وزعيم قريش، لأنه كان الأتقى، ولأنه كان الأسبق إلى الإسلام. ولا يزال المسلمون إلى اليوم يقدرون الأتقياء، العاملين المجاهدين، بصرف النظر عن أحسابهم وأنسابهم وأصولهم العرقية. وهذه هى الصفة العامة الحقيقية لشعوب هذه المنطقة. بعكس الشعوب الأوربية العنصرية التى تؤمن باستعلاء الرجل الأبيض والجنس الآرى، على سائر خلق الله، وبعكس العنجهية الصهيونية العنصرية. وكل بحث موضوعى محايد لابد أن ينتهى بنا إلى تأكيد هذه الحقيقة المناقضة لمزاعم الدكتور فؤاد. فهو يقلب الحقائق رأساً على عقب استناداً إلى ملاحظة عارضة، أو رذيلة شائعة، لهدف شخصى مبيّت عنده!

واستناداً إلى هذا الباطل يبنى أستاذ الفلسفة "آراءه النقدية". فيزعم أننا نتخذ من السلف – أو الأصل والحسب – صورة البديل الخيالى عن الحاضر، أو العزاء عما نحن فيه من تخلف.(٢)

---

(١، ٢) آراء نقدية؛ ص ١٧٠.

فالثقافة التى تتصدى لنقيصة التفاخر بالأصل والحسب بوصفها معصية لله – عز وجل –، وتدينها فى كل لحظة تطل فيها برأسها، هى الجديرة بالإدانة عند هذا "الناقد"، وهى التى تعلم أبناءها التفاخر بأصولهم وأحسابهم، ونسبهم بديلاً عن تخلفهم الراهن!

إن الدكتور فؤاد يتعمد إساءة فهم الموقف الإسلامى لمجرد التشنيع. فهو يفهم الاعتزاز بتاريخنا الإسلامى ومثله العليا على أنه تفاخر بالأصل والحسب! وهو يفزع فزعًا شديداً من ذكر أبى بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ. إنه يريدنا أن ننسى تاريخنا ونهيل عليه التراب. والدكتور فؤاد بالذات يقرر دون وجل أن الرفاق الحمر فى كوبا والصين أقرب إلينا من أبى بكر وعمر وعثمان وعلى! فإذا أبينا عليه ذلك، قذفنا "بآرائه النقدية" التى هى مجرد أباطيل بناها فوق أباطيل.

## أنموذج للحوار مع فؤاد زكريا :

وفيما يلى أنموذج للحوار الذى يفترض فيه أن يكون علميًّا، لأنه يناقش مسائل علمية. لكن الدكتور فؤاد – كعادته –! يقلبه إلى سباب وشتائم واتهامات مخيفة!

ذلك أن دار "قدمى" للنشر والتوزيع فى دمشق اشترت حق الترجمة العربية لكتاب THE INVENTION OF ANCIET ISRAEL أى "اختراع إسرائيل القديمة" لمؤلفه: كيث وايتلام. لكن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت أصدر ترجمة عربية أخرى للكتاب نفسه. وكان الدكتور فؤاد هو المستشار الثقافي للمجلس، وهو الذى اختار المترجمة الدكتورة سحر الهنيدى لإنجاز الترجمة، كما قام بالتعليق عليها.

وكان من الطبيعى أن تعترض "دار قدمى" على الترجمة الكويتية، صيانة لحقوق الملكية الفكرية التى تحميها القوانين والاتفاقات الدولية. وقد وجد السيد (زياد منى) أن من واجبه بيان الأخطاء العديدة فى الترجمة، وفى ملاحظات الدكتور فؤاد عليها، **لأنها تحاول: "إضفاء تغطية شرعية علمية لعمل مقصر تمامًا"**. وكان الرجل يتوقع أن يتعامل الدكتور فؤاد مع ملاحظاته النقدية بروح رياضية، وأن ينظر إليها بروح أخوى. لكن الدكتور فؤاد لا يرضى بغير الإطراء والمديح، ولا يقبل أى نقد

مهما كان سنده العلمى، فكتب ردًا، احتوى على "كمّ من المغالطات والاتهامات والتحريضات والتجريحات".

وهذا في الحقيقة هو منهج الدكتور فؤاد في الحوار. إنه لا يقبل النقد أو المعارضة، وتأخذه العزة بالإثم، فيضيف السباب والردح البلدى إلى أخطائه العلمية الفادحة!

ماذا كان رده "العلمى" على انتقادات "زياد منى"؟

قال الدكتور فؤاد إن الكاتب: "أمسك قلمه بإحدى يديه بينما يده الأخرى تتحسس حافظة نقوده"!

وقال إن: "سوء النية كان غالبًا على السيد زياد منى عندما كتب مقاله النقدى"!

وقال أيضًا: "إن السيد زياد منى لا يفكر إلا فى مصالحه الشخصية ويطرح جانباً كل اعتبار متعلق بخدمة قضيتنا القومية"!

وقال – أخيراً – إنه يتبين أن المحاولات المستميتة التى يبذلها السيد "زياد منى" للتشويش على هذه الطبعة – الكويتية – ومنع انتشارها، تقف موضوعيًا فى الخط نفسه الذى يقف فيه العدو الأكبر للقضية الفلسطينية"!

وهكذا صار الكاتب الفلسطينى "زياد منى" خائنًا لوطنه، متحالفًا مع الصهاينة، لأنه تجرأ وبين أخطاء فؤاد زكريا!! **وردت "دار قدمى" أحسن رد حين قررت نشر غسيل الدكتور فؤاد على أوسع نطاق بين القراء العرب: "كبطاقة تعريف بالدكتور فؤاد الذى قاده تعاليه الواهى إلى التمسك برذيلة الدفاع عن الغلط!"**

ولم تنس اللجوء للقضاء لملاحقة الدكتور فؤاد بتهمة القذف، وملاحقة المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت لحفظ حقوقها الفكرية والمادية التى اعتدى عليها بمشورة المستشار الثقافي الدكتور فؤاد زكريا.

## حواره مع الإسلاميين!

ولعل من أهم انتقاداته في حواراته ضد الإسلاميين هو أنهم يؤمنون بأن هناك حقيقة واحدة هم المالكون لها وبأن "كل ما عداها باطل"! والحق أن كلامه هذا تعميم خاطئ وغير علمى. فالثقافة الإسلامية كسائر الثقافات تنطوى على عقائد وشرائع

وقيم أخلاقية وتقاليد خاصة وأعراف وآداب وفنون وعلوم، ولا يجوز تبعًا لهذا أن تصدر عليها حكمًا واحداً باتًّا! فالتوحيد الذي هو جوهر الثقافة الإسلامية حقيقة مطلقة أزلية.. ونحن نؤمن بأن كل ما عداه باطل، الإلحاد والفلسفات المادية العلمانية كلها عندنا باطل في باطل لأنها تكفر بأن للكون خالقًا. وفي التشريع: العدل مبدأ أزلي مطلق وكل ما سواه باطل لأن ما سواه ظلم وكل تشريع لا يبتغي إعطاء كل إنسان – مسلم أو غير مسلم – ثمرة جهده هو تشريع باطل. وفي الأخلاق: الإيثار مبدأ أزلي مطلق وكل عمل لا يبتغي خير الآخرين لا يستحق صفة "أخلاقي".. وعلى الرغم من هذه الحقائق المطلقة لم يمنع الإسلام المسلمين من الاجتهاد في فهمها وتفسيرها على أنحاء مختلفة، ومن هنا ظهرت الفرق الإسلامية في العقيدة والمذاهب الفقهية في المجالات العملية.

وفضلاً عن هذا هناك مجالات واسعة لم تحكمها نصوص من القرآن أو السنة لأنها من الجوانب المتغيرة المتطورة في حياة الإنسان والحاكم في تنظيمها هو المصالح ((المرسلة)).. وقد استفاد المسلمون في تنظيم هذه المجالات من الجاهليين العرب، ومن الهنود والفرس واليونان، والأوروبيين المعاصرين. والله تعالى يقول: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ والنبي ﷺ يقول: "الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها". هذه الحقائق تبين بجلاء بطلان ادعاء الدكتور فؤاد، فالمسلمون يسلّمون بأن لديهم حقائق مطلقة، ويعترفون بأن غيرهم من الأمم لديهم معارف صحيحة وخبرات نافعة، والإسلام يحثهم على قبول الحقائق بصرف النظر عن مصدرها.

وهذا يقودنا إلى المسألة الثانية المهمة وهي زعمه بأن الإسلاميين "متخلفون"! والحق أن العيب في الدكتور فؤاد لأنه اختار أضعف المذاهب الفلسفية فاعتنقه ودافع عنه وروج له، وهو المذهب المادي الماركسي الشيوعي بالذات.. ولذلك لم ينجح الدكتور فؤاد في إقناع أحد به.. فالمثقفون قارنوا بين الإلحاد والتوحيد، ولم يكن هناك مجال للتردد في نبذ المادية الملحدة على الرغم من كل الزخارف التي أحاطت بها! وفي الاتحاد السوفييتي البائد، بعد ٧٤ سنة من الترويج للإلحاد بكل قوة وبكل وسيلة، لم يعتنقه من المسلمين إلا عدد قليل جداً.. ولو أعطينا كل وسائل الإعلام والثقافة والتعليم للدكتور فؤاد، لن يكون مصيره أحسن من البلاشفة الشيوعيين!

obeikandl.com

ومرة أخرى يقودنا الحديث إلى النقطة الثالثة وهى نبوءته بأن الإسلام مهزوم لا محالة أمام الثقافة العلمانية المتفتحة! ولقد سبق أن تنبأ الدكتور فؤاد بانهيار الغرب الرأسمالى المستغِل وخلود الجناح المادى الشيوعى! وأحسب أن هذه النبوءة الجديدة سوف تكون كأختها! لأن أكثر المفكرين الغربيين يتوقعون انهيار الثقافة العلمانية الغربية، كما كان الدكتور فؤاد يتوقع زمان! والآن تتعلق آماله بانتصار الرأسمالية ! ولعله لا يزال يحلم ببعث الشيوعية !والمهم عنده أن ينهزم الإسلام، ربما لاعتقاده بأن الإسلام هو الذى قتل الحبيبة الراحلة!

ويصف الدكتور فؤاد ثقافتنا بأنها "ماضوية" ومرد هذا إلى إيمانه بالنسبية السوفسطائية. ونحن نؤمن بأن هناك حقائق مطلقة كما بينا فى السطور السابقة. والفلسفة المعاصرة نبذت النسبية لأنها خطأ، وأقرّت بوجود القيم التى تعلو على الزمان ولا تتقادم بمرور الأيام كالعدل والصدق والوفاء بالعهد. فكلامه خاطئ علميًا وفلسفيًا ودينيًا. وتلك نكبة فى حق أستاذ مثله!

وهو يتهم الإسلاميين بأنهم لا يعرفون العلمانية ولا يقبلون منها شيئًا. وهذا وهْم. فنحن الإسلاميين درسنا العلمانية وأخذنا منها وتركنا. وهو أخذ السوفسطائية المتشككة وأيد فكر "نيتشه" و "اسبينوزا" و "ماركس" ورفض أفلاطون وديكارت وكانط! ونحن نستفيد من المواقف الأساسية لدى "سقراط" و "ديكارت" و "كانط"، بمعاييرنا الإسلامية، ونرفض السفسطة والمادية والإلحاد عند أى مفكر.

ونحن أخيرًا نرحب بالإبداع فى العلوم والفنون والآداب التى ترتقى بالإنسان جسماً وروحاً وإحساساً وأخلاقًا ونرفض الانحلال المتدثر بعباءة الإبداع! فكيف يزعم أن كل إبداع عندنا بدعة ؟ ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا** ﴾.

* * *